



التــأويل البــاطنــي
(المنهج – الخصائص – المقاصد)
وموقف أهل السنة منه

Esoteric interpretation
(Methodology - Reaping – Purposes)
And the attitude of Ahl Al Sunna towards it

إعــداد

د/ أحمد يسن حسن علي شعبان

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا
الايميل : **AhmedYassin.el.106@azhar.edu.eg**

بحث مقدم إلى :

المؤتمر الدولي الثاني لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
موقف أهل السنة والجماعة من التيارات والمذاهب الفكرية
الجهود – المناهج – القضايا
المنعقد في يوم
١٠ محرم١٤٤٣هـ
١٨ أغسطس ٢٠٢١ م

التـأويل البـاطنـي
(المنهج – الخصائص – المقاصد)
وموقف أهل السنة منه

أحمد يسن حسن علي شعبان
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية .
البريد الإلكتروني : AhmedYassin.el.106@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان إشكاليات التأويل عند الحركات الباطنية من خلال بيان قواعد منهجهم في التأويل وخصائصه ومقاصده ونقضها ، وبيان موقف أهل السنة والجماعة منها، وتقديم التصور الصحيح للقضايا محل الدراسة وفق الرؤية النقدية لأهل السنة والجماعة لأطروحات التأويل الباطني ورؤاه وتصوراته .

وقد اتبعت في هذا البحث عدة مناهج منها : المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج التحليلي النقدي .

وكانت أهم النتائج التي توصلت أليها: أن التأويل كان ولا زال الأساس الذي قامت عليه فرق الباطنية ، والوسيلة الأهم في تكوين قناعاتهم ، وتأييد معتقدهم ، ونشر أفكارهم ، وترويج مذهبهم ، وقد أسرفت في استخدامه بلا ضابط يضبطه ولاقانون يحكمه ولا دليل يؤيده ، مما كان سبباً في غلوهم وشططهم وخروجهم من دائرة الاعتقاد الحق والمنهج القويم، وكان أهل السنة والجماعة لهم بالمرصاد – منذ ظهورهم وحتى الآن – يعلنون انحرافهم ،ويكشفون زيفهم ،ويظهرون فسادهم ويؤكدون سوء نيتهم وخبث طويتهم في الكيد للإسلام والنيل من أتباعه ، قياماً بواجبهم في الدفاع عن الدين ، وصوناً لشريعته من عبث العابثين ،وتحصيناً للأمة من الوقوع في براثن هذا الفكر وشراكه ، الذي كان باباً من أبواب استغلال أعداء الإسلام على مدار التاريخ ؛ لتشويه صورته وهدم بنيانه، واختراق صفوف أتباعه، وتفريق جماعتهم وتمزيق وحدتهم .

كما يوصي الباحث بدراسة الحركات الباطنية لاسيما المعاصرة منها كل فرقة على حدة، والتصدي الدائم والمستمر لكافة أشكال الانحراف الديني والفكري بالحكمة والموعظة الحسنة وفق منهج الإسلام ورؤية الأزهر الشريف القائمة على الوسطية والاعتدال.

الكلمات المفتاحية : التأويل – الباطني – المنهج – الخصائص – المقاصد – موقف أهل السنة.

The Esoteric Interpretation (methodology – characteristics – purposes) and the Position of the Sunnis about it

Ahmad Yaseen Hasan Ali Sha'baan
Department of Da`wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Islamic Da`wah, Tanta, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
E-mail: AhmedYassin.el.106@azhar.edu.eg

Abstract

The research aims to clarify the problems of interpretation among the esoteric movements by clarifying the rules of their approach to interpretation, its characteristics, purposes and its refutation, to show the position of sunni islam regarding it and to present the correct perception of the issues under study according to the critical view of sunni islam for the theses of esoteric interpretation, its visions and perceptions.

Several approaches have been followed in this research, including: the inductive approach, the descriptive approach, the historical approach, and the critical analytical approach.

The most important results that have been reached were: that interpretation was and still is the basis on which the esoteric sects were based, and the most important means in forming their convictions, supporting their belief, spreading their ideas, and promoting their doctrine, and its followers used

it excessively with no control over it, no law governing it, and no evidence supporting it, which was the cause of their exaggeration, their excesses, and their exclusion from the realm of true belief and the right approach. Sunnis have been on the lookout for them – since their appearance until now – declaring their deviation, exposing their falsehood, revealing their corruption and emphasizing their bad intentions and the maliciousness of their folds in plotting against Islam and undermining its followers; in fulfillment of their duty to defend the religion, to safeguard its Sharia from the tampering of abusers, and to immunize the nation from falling into the clutches of this thought and its snares, which was one of the doors of exploitation by the enemies of Islam throughout history; to tarnish its image, destroy its structure and infiltrate the ranks of its followers; divide their group and tear their unity.

The researcher also recommends studying the esoteric movements, especially contemporary ones, including each sect separately, and constantly and continuously confronting all forms of religious and intellectual deviation with wisdom and good exhortation according to the approach of Islam and the vision of Al-Azhar Al-Sharif that bases on moderation.

Keywords: interpretation – esoteric – method – characteristics – purposes – the position of the Sunnis (sunni islam).

المقدمة

الحمد لله الذي شرع لنا ديناً قويماً ، وهدانا صراطاً مستقيماً ، وقيد له "من ينفي عنه تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وتحريف الغالين" [١]، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين وسيد الدعاة إلى الله رب العالمين الذي خاطبه ربه بقوله:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٢].

ثم أما بعد ،،،

فإن التأويل كان ولا زال الأساس الذي قامت عليه فرق الباطنية ، والوسيلة الأهم في تكوين قناعاتهم ، وتأييد معتقدهم ، ونشر أفكارهم ، وترويج مذهبهم ، وقد أسرفت في استخدامه بلا ضابط يضبطه ولاقانون يحكمه ولا دليل يؤيده ، مما كان سبباً في غلوهم وشططهم وخروجهم من دائرة الاعتقاد الحق والمنهج القويم، وكان أهل السنة والجماعة لهم بالمرصاد – منذ ظهورهم وحتى الآن – يعلنون انحرافهم ،ويكشفون زيفهم ،ويفندون زعمهم ،ويدحضون شبههم ،ويظهرون فسادهم ويؤكدون سوء نيتهم وخبث طويتهم في الكيد للإسلام والنيل من أتباعه ، قياماً بواجبهم في الدفاع عن الدين ، وصوناً لشريعته من عبث العابثين ،وتحصيناً للأمة من الوقوع في براثن هذا الفكر وشراكه ، الذي كان باباً من أبواب استغلال أعداء الإسلام على مدار التاريخ ؛ لتشويه صورته وهدم بنيانه، واختراق صفوف أتباعه، وتفريق جماعتهم وتمزيق وحدتهم ، (وإذا كان الله تعالى قد أخذ الميثاق الغليظ في كتابه الكريم على العلماء، كي يبينوا للناس الحقائق الإسلامية ولا يكتموها ، فإن الواجب يقضي عليهم أن يراجعوا تاريخ التطور الفكري في حضارتنا الإسلامية ليقوموا بجرد كامل للأفكار الهدَّامة والمباديء الباطلة والاتجاهات الخرافية والأسطورية فيها ،كي يفضحوها بالعلم والمنطق والبرهان ليعود الإسلام عند المسلمين جميعاً صافياً نقياً ، يوجه الجيل الجديد إلى الإيمان العميق والتدبير الدقيق والعلم بالقوانين المادية ، وتسخيرها وإحداث التغيير المطلوب في مجتمعاتنا الإسلامية نحو حياة الأصالة

١ – مقتبسٌ من حديث النبي ﷺ : " يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ " أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ، (٣٥٣/١٠) ، حديث رقم (٢٠٩١١) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ ، البحر الزخار للبزار، تحقيق:محفوظ الرحمن زين الله وآخرون ،(٢٤٧/١٦) ، حديث رقم : (٩٤٢٢) ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
٢ –سورة الأنعام ، الآية : (١٥٣).

والحضارة والتقدم) [١] ، لاسيما وأن الفكر الباطني قد استشرى في بعض الدوائر ولا يزال يتغلل في أنحائها ويتكيف مع ظروف عصرها[٢] على حد قول الإمام الشهرستاني عن الباطنية : (لهم دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان ، فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة) [٣].

ومن هنا كان اختياري لموضوع هذا البحث : " التأويل الباطني (المنهج – الخصائص – المقاصد) وموقف أهل السنة منه".

أولاً:أهمية الموضوع :

١- بيان خطورة التأويل الباطني على المسائل العقدية والتشريعية ، لاسيما وأنه يناقض أصول الدين والشريعة الإسلامية .
٢- أن الفكر الباطني يخرق إجماع الأمة ويزعزع الاستقرار العقدي والفكري .
٣- أن التأويل هو وسيلة الحركات الباطنية في الترويج لأرائها ونشر مذهبها ، وإلباسها لباس الدين والتدليس على المسلمين ، فضلاً عن مناقضتة مقررات مذهب أهل السنة والجماعة.

ثانياً:أسباب اختيار الموضوع:

١– تأثر الباطنية بالأفكار الهدافة والتيارات المنحرفة والتضامن معها في محاولة القضاء على الإسلام وطمس معالمه .
٢– أن التأويل الباطني كان سبباً في الانحرافات العقدية والفكرية لكثير من الفرق والحركات ،ولا تخفى خطورته على الأمة في العصر الحاضر، لاسيما الشباب وحديثي العهد بالإسلام .

---

١ – مقال الاتجاه الباطني في تفسير القرآن ، محسن عبد الحميد ، دعوة الحق ،وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية بالمملكة المغربية ،العدد ٢٣٢ صفر ١٤٠٤هـ– نونبر ١٩٨٣م.

٢ – فقد أخذت الفكرة الباطنية تظهر من جديد في الساحة الإسلامية ، ولكنها هذه المرة تتبدى في ثوب مختلف وتشكُّل مغاير ، وأضحت تتسمى بأسماء جديدة كالتنوير ،والتجديد ،والحداثة، ودعوات القراءة المعاصرة للنص الديني ، لكن معالم الباطنية الجديدة تتحدد بشكل ظاهر في المدرسة الحداثية العربية ،فقد تبنت هذه المدرسة حقيقة النظرية الباطنية ، وامتثلت روحها بكل وضوح ، وجعلت الرؤية الباطنية أصلاً من أصولها المعرفية ،ورتبت عليها النتائج نفسها التي ترتبت على الباطنية القديمة ،فلا يكاد القارىء يجد فرقاً بين التشكلين في حقيقة التأويل الباطني. يراجع : الاتجاه الباطني في تشكله الجديد ،سلطان العميري ،٢٠مجلة البيان ،مسارات فكرية ، العدد ٢٩٦، فبراير ٢٠١٢م .

٣ – الملل والنحل ، للشهرستاني ، ج ١ ، ص ١٩٢، الناشر: مؤسسة الحلبي. ، بدون تاريخ .

٣- إن كشف هذه التأويلات الباطنية يُميط اللثام عن الحركات التي تتبناها قديماً وحديثاً حتى لاينخدع المسلمون بما يروجه دعاة الباطنية المعاصرة لنشر أفكار هذه الفرق أو الترويج لها بدعاوى ماكرة .

٤- كثرة الكتب التي تحتوي على التأويلات الباطنية لنصوص الكتاب والسنة وانتشارها وبخاصةعلى الإنترنت مما يؤدي إلى التلبيس على الناس لاسيما العامة.

٥- أردت إبراز موقف أهل السنة والجماعة من التأويل الباطني وقضاياه المنهجية ، وبيان شططه ومقاصده المغرضة في النيل من الإسلام والمسلمين في محاولة تحصين الشباب من الوقوع في براثن الفكر الباطني والانحراف في فهم قضايا الدين .

ثالثاً : مشكلة البحث :

يدور البحث حول بيان الإشكاليات المنهجية للتأويل عند الحركات الباطنية من خلال بيان قواعد منهجهم في التأويل وخصائصه ومقاصده ونقضها ، وبيان موقف أهل السنة والجماعة منها، وتقديم التصور الصحيح للقضايا محل الدراسة وفق الرؤية النقدية لأهل السنة والجماعة لأطروحات التأويل الباطني ورؤاه وتصوراته .

رابعاً : منهج البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن أعتمد على المنهج الاستقرائي[1] من خلال استقراء القضايا والتأويلات محل الدراسة من مصادرها الأصيلة ، وكذا المنهج الوصفي[2] من خلال عرض النماذج المختارة من التأويلات الباطنية التي تخدم الدراسة كما وردت في مصادرها، مع إيراد أقوال العلماء فيها ، والمنهج التحليلي النقدي[3] المعتمد على تحليل النصوص والروايات التي تضمنتها النماذج المختارة من التأويلات الباطنية ونقدها للتوصل إلى نتائج يترتب عليها إصدار أحكام كلية أو جزئية، حتى تتحقق الغاية المرجوة من هذه الدراسة، ولا غنى عن الاستفادة من بقية مناهج البحث الأخرى. .

---

١ – المنهج الاستقرائي: هو الحكم على الكل بما يوجد في جزئياته جميعاً. يراجع :مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة، د.فرج الله عبد الباري ، ص ٤٢، ط أولى ،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢ – المنهج الوصفي: هو عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتوصل إليها. يراجع : البحث العلمي أساليبه النظرية وممارسته العملية، د.رجاء وحيد دويدري، ص١٧٤، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، الطبعة :الأولى،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣ – المنهج التحليلي: ويستخدم للتفرقة بين العناصر الأولية التي يحتوي عليها النص، تمهيداً لفهم كل عنصر منها على حدة والوقوف على المعنى الحقيقي الذي ترمي إليه الألفاظ والعبارات. يراجع : مناهج البحث والتفكير العلمي، د.عبد الله الشرقاوي، ص٨٦، دار الثقافة العربية- القاهرة ، ١٩٩٧م.

خامساً: خطة البحث:

- وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، وخاتمة.
- أما المقدمة فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطتي في البحث.
- وأما التمهيد فقد اشتمل على التعريف بمفردات البحث.
- والمبحث الأول: منهج التأويل الباطني .
- والمبحث الثاني: خصائص التأويل الباطني .
- والمبحث الثالث: مقاصد التأويل الباطني .
- والمبحث الرابع: موقف أهل السنة والجماعة من التأويل الباطني .
- والخاتمة: تناولت فيها أهم نتائج البحث وتوصياته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

أولاً: تعريف التأويل :

يعتبر التأويل الأساس الذي قامت عليه الباطنية ، حيث ادعت أن للقرآن الكريم ظاهراً وباطناً ، وأن هذا الباطن علم اختُص به أئمتهم من دون الناس (فالظاهر–في نظرهم – لا يعبر عن الحقيقة لأنه قشر وغلاف لها ، وأما الحقيقة فهي مستترة وراء هذا اللفظ وهي التأويل ، وهو سر أودعه الله لدى الأئمة وهو معجزة الأئمة ، كما أن القرآن الكريم معجزة مُحَّد ﷺ) [١] ، ولخطورة هذا الادعاء كان لزاماً علينا أن نقف على المراد من التأويل في اللغة وفي اصطلاح العلماء –لاسيما علماء أهل السنة والجماعة – قديماً وحديثاً ، ثم نقارن بينه وبين المراد منه عند الباطنية حتى نميط اللثام عن هذه القضية ، ونبين وجه الحق فيها حفاظاً على بنيان الدين ، وصوناً لنصوصه من التشويه، وحماية للناس من الوقوع في براثن التحريف ، ووقوفاً في وجه حملات التشكيك في مصادر الإسلام وأصوله وأحكامه وقضاياه، وذلك على النحو الآتي :

١– التأويل في اللغة :

التأويل لغة يرجع إلى معان منها:الرجوع والجمع وعاقبة الشيء وما يؤول إليه أو تفسيره ، جاء في مختار الصحاح(أَوَلَّ: "التَّأْوِيلُ" تَفْسِيرُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ وَقَدْ "أَوَّلَهُ" تَأْوِيلًا وَ "تَأَوَّلَهُ" بِمَعْنًى) [٢]، ويقول الجرجاني : (التأويل في الأصل الترجيع) [٣] ، وفي لسان العرب: ("قَالَ ابْنُ الأَثِير: هُوَ مِنْ آلَ الشيءُ يَؤُولُ إِلى كَذَا، أَي رَجَع وَصَارَ إِليه، وَالْمُرَادُ بالتَّأْوِيل نَقْلُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ عَنْ وَضْعِهِ الأَصلي إِلى مَا يَحتاج إِلى دَلِيلٍ لَوْلَاهُ مَا تُرِك ظاهرُ اللَّفْظِ،والتَّأْوِيل المَرجِع والمَصير مأْخوذ مِنْ آلَ يَؤُولُ إِلى كَذَا أَي صَارَ إِليه، وأَوَّلْتُهُ: صَيَّرته إِليه قال الجَوْهَرِيُّ: التَّأْوِيل تَفْسِيرُ مَا يؤول إِليه الشَّيْءُ) [٤].

---

١ – الباطنية وموقف الإسلام منها ، د. جميل مُحَّد أبو العلا، ص ٢٢٣، دار المعارف، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م.

٢ – مختار الصحاح ، لزين الدين أبي عبد الله مُحَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَّد، ص٢٥، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣– التعريفات ، الشريف الجرجاني ، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ص ٥٠، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

٤ – لسان العرب ،لابن منظور الأنصاري ، ج ١١ ، ص ٣٣– ٣٤، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة– ١٤١٤هـ.

٢- التأويل في الاصطلاح :

عرَّفه الإمام الغزالي بأنه : (بيان معناة بعد إزالة ظاهره) [١]، وقيل:(إنه صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح مع قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال) [٢]،وقد استعمل السلف التأويل والتفسير بمعنى واحد إلا أن التفسير المرادف للتأويل عندهم ليس هو التأويل بمعناه السابق، فالتأويل عند السلَفَ له معنيان:

(*أحدهما* : تفسير الكلام وبيان معناه، سواء وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين .

***والآخر*: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً، كان تأويله نفس الشيء المخْبَر به)[٣].**

وعلى الرغم من عدم وجود فروق جوهرية بين التأويل والتفسير عند السلف ، إلا أن هناك اختلافات في بيان الفرق والنسبة بينهما منها :

أن التفسيرُ : (كَشْفُ المُرادِ عن اللَّفظِ المُشْكِل [٤]، والقطع على أن المراد من اللفظ هذا بدليل، والتأويلُ : ترجيح أحد المحتملات بدون القطع)[٥] ،أو(رَدُّ أحدِ المُحْتَمِلَيْنْ إلى ما يُطابِقُ الظَّاهِرَ)[٦] ،أو (التفسيرُ : قد يُقال فيما يَخْتَصُّ بمُفرداتِ الألفاظِ وغَريبِها) [٧] .

وقال بعضهم:(التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية)[٨]،وقيل:(التفسير هو بيان المعانى التى تُستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعانى التى تُستفاد بطريق الإشارة، فالنسبة بينهما التباين ، وهذا هو المشهور عند المتأخرين)[٩].

---

١ – إلجام العوام عن علم الكلام ، للإمام أبي حامد الغزالي ، ص٤٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

٢ – أساس التقديس للإمام فخر الدين الرازي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا ، ص ٢٣٥ ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٣ – التفسير والمفسرون ، د. مُحَمَّد حسين الذهبى ، ج١ ، ص١٧، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة.

٤ – المرجع السابق ، ج١ ، ص١٢.

٥ – يراجع : المرجع السابق ، ج١ ، ص١٧ .

٦ – مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف مُحَمَّد عبد الجواد، ص ٦٩، الناشر: دار البيان العربى – القاهرة.

٧ – المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى،تحقيق : صفوان عدنان الداودي، ص٦٣٦، الناشر: دار القلم، الدار الشامية دمشق -بيروت، الطبعة:الأولى – ١٤١٢ هـ..

٨ – التفسير والمفسرون ، د. مُحَمَّد حسين الذهبى ، ج١ ، ص١٧ .

٩ – المرجع السابق نفسه .

وأورد الإمام السيوطي قول بعضهم : (التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط،وقال بعضهم: التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها ،ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها)[١].

وعلى ذلك فالتأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى تحتمله الآية موافقاً لسياقها بدليل صحيح من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، أوقرينة تصرف هذا اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر قريب من المعنى المراد وإن لم يصل إلى حقيقته ، وفق ضوابط اللغة والواقع الدلالي ، والاستعمال الشرعي والعرفي ، وأن ماخرج عن هذه الضوابط فهو تأويل فاسد.

وإذا كان التأويل عند السلف لا يختلف معناه كثيراً عن التفسير ، بخلاف التأويل عند الخلف الذي هو صرف ظاهر اللفظ إلى معنى يحتمله، فإن هذا التأويل له شروط معتبرة لا بد من توافرها.

شروط التأويل:

التأويل الصحيح له شروط وهي:

- عدم تكفير أحد بالتأويل إلا إذا كان في أصل من أصول الدين.
- أن يكون معه برهان عقلي قاطع على صحة تأويله، والذي بسببه يمكن ترك الظاهر.
- أن يحترم العقل ولا يكذب برهانه أصلاً، فإن العقل لا يكذب، ولو كذب العقل فلعله كذب في إثبات الشرع، إذ به عرفنا الشرع فيكف يعرف صدق الشاهد بتزكية المزكي الكاذب، والشرع شاهد بالتفاصيل، والعقل مزكي للشرع.
- أن يكون المؤل على علم باللغة ودروبها، فنفرق بين المعاني الحقيقية والمجازية، فإذا كان المعنى الحقيقي مستحيلاً في حق الله تعالى عقلاً تعين الأخذ بالمعنى المجازي.
- أن يكف عن تعيين التأويل عند تعارض الاحتمالات، فإن كان الحكم على مراد الله سبحانه وتعالى ومراد رسوله –ﷺ– بالظن والتخمين جهل وخطر فالتوقف أسلم[٢].

---

١ – الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ،تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ج ٤ ، ص ١٩٤، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤ م .

٢ –يراجع:قانون التأويل للإمام الغزالي ، تحقيق :محمود بيجو ، ص ٢١-٢٢، الطبعة الأولى –طبعة البيروتي ،١٩٩٣م ، التأويل والانحرافات العقدية "تقرير حقائق وتفيد مزاعم " د. عبدالناصر محمود عبدالسلام جمعة،ص ٩،بحث مستل من حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، جامعة الأزهر ، العدد٢٨، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

وإذا كان ابن رشد قد أشار في تعريفه إلى شرط في التأويل –كما سبق– وهو ألا يخل بقواعد اللغة، فإنه وضع ضوابط أخرى تتعلق بالتأويل من جوانب عدة ، منها :

- جواز التأويل في المواطن التي يقوم فيها البرهان العقلي على استحالة دلالة ظاهر النص، بشرط تحقق اللغة العربية في المجاز فيما لم يثبت فيه إجماع يقيني على أن المراد هو ظاهر الألفاظ، وبترشيح دلالات ظواهر بعض النصوص على مواطن التأويل في بعضها.
- الجمع بين المعقول والمنقول لا المقابلة بينهما والانحياز لأحدهما تجاوزاً للآخر، أو نفياً له.
- أن يظل التأويل حقاً للخاصة الراسخين في العلم لا يصرح به للعامة، ولا يثبت في كتب الجمهور حتى ولو كان تأويلاً صحيحاً .
- لا يجوز تأويل كل النصوص فالمحكمات لا يجوز تأويلها، ومباديء الشريعة وأنباء الغيب والمعجزات لا يجوز التأويل فيها[١] .
- أن يكون اللفظ المقصود تأويله قابلاً للتأويل ومحتملاً للمعنى الذي أُوِل إليه لغة أو عرفاً أو شرعاً فيجب أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى المؤول إليه في ذلك التركيب ،غير متعارض مع أصول الشرع أو فروعه وإلا كان كذباً على اللغة وافتراء على الشرع.
- أن التأويل لا يكون إلا لضرورة ، فالتأويل هو الاستثناء وليس القاعدة حتى رأى الإمام الرازي أنه لا تأويل للفظ إلا إذا قام" الدليل القاطع على أن ظاهره محال[٢].

٣– التأويل عند الباطنية : يعتبر التأويل الأساس الذي ارتكزت عليه دعائم هذه الدعوة الفكرية،والغذاء الذي موَّن الفلسفة الباطنية[٣]،ينقل الأعظمي عن المؤيد أن للقرآن معان سوى ما تتداوله ألسنة العامة مما يستنبطونه بحولهم وقوتهم من دون الرجوع فيه إلى أهل الاستنباط " يعني الأئمة" ، ثم يقول معرفاً التأويل : (إنه علم العاقبة وما يفضي الأمر إليه في النهاية) [٤].

وقيل هو:(باطن المعنى أو رمزه أو جوهره وهو حقيقة مستترة وراء لفظة ولا تدل عليها)[٥].

---

١ – يراجع :فصل المقال لابن رشد ص ٤٩ وما بعدها، دراسة وتحقيق: مُحَّد عمارة ، الناشر: دار المعارف ، الطبعة: الثانية ، بدون تاريخ .

٢ – أساس التقديس للرازي ، تحقبق : د. أحمد حجازي السقا ، ص ٢٣٥، مرجع سابق .

٣ – أساس التأويل للقاضي النعمان بن حيوان التميمي المغربي، تحقيق: عارف تامر، مقدمة المحقق ص٦،سلسلة المخطوطات العربية، منشورات دار الثقافة—بيروت، بدون تاريخ.

٤ – تأويل الدعائم،النعمان بن حيوان ،تحقيق: مُحَّد حسن الأعظمي،ص ٣٨، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.

٥ – أساس التأويل ، النعمان ، ص ٧.

ويفسر النعمان بن حيون [١] ذلك بقوله : (إن القرآن الكريم نزل على مُحَمَّد – صلى الله عليه وسلم – بلفظه ومعناه الظاهر للناس ، أما أسراره التأويلية الباطنية فقد خص بها علياً والأئمة من بعده) [٢]، فالتأويل يتبع رأي المسؤل المباشر عن التأويل وهوالإمام أومن يقوم مقامه[٣]، فمثلاً قالوا في قوله تعالى:﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾ أنهما علي وفاطمة ، وقوله:﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[٤]يعني: الحسن والحسين[٥]، إذن (فالقاعدة في التأويل عند الباطنية هي تطبيق نظرية " المثل والممثول " ، فظاهر القرآن مثل وباطنه ممثول ، والظاهر هو هذه المعاني التي يعرفها العامة وينطق بها علماء أهل السنة ، والباطن هو هذه المعاني التي يستخلصها الوصي)[٦]،وواضح من هذه القاعدة تأثر الباطنية بالفلسفات القديمة لاسيما الأفلاطونية، وهو ما أكده الدكتور مُحَمَّد كامل حسين وهو يعقب على هذه النظرية بقوله:(إنهم تأثروا في هذه بنظرية المثل الأفلاطونية القديمة)[٧]

وبناءً على قاعدة المثل والممثول والظاهر والباطن لابد من التأويل عندهم وصولاً إلى الحقيقة،لأن الظاهر–في زعمهم–لا يؤدي إلى الحقيقة،ومن ثم فلا يمكن الاعتماد عليه[٨].

ثانياً: الباطني :

الباطني : هو الرجل الذي يكتم اعتقاده ، فلا يظهر إلا لمن يثق به ، وقيل:هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً)[٩]، فالباطني نسبة إلى الباطن ، وهو ضد الظاهر، أو أن الظاهر خلاف الباطن ، والباطن اسم من أسماء الله تعالى، ومعناه :العالم بالسرائر والخفيات،

---

١ – النعمان بن مُحَمَّد بن منصور ، أبو حنيفة بني حيُّون التميمي ، ويقال له : القاضي النعمان ، من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر ، من أهل القيروان ، مولداً ومنشأ ، تفقه بمذهب المالكية ، وتحول إلى مذهب الباطنية ، وقدم مع المعز إلى مصر وهو كبير قضاته وتوفي بها ، وصفه الذهبي بالعلَّامة المارق ، وقال ابن حجر : في كتبه ما يدل على انحلال عقيدته. يراجع : الأعلام للزركلي ، ج ٨ ، ص ٤١، الناشر : دار العلم للملايين ، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢م.

٢ – أساس التأويل ، النعمان ، ص ٨، مرجع سابق .

٣ – أساس التأويل ، النعمان ،مقدمة المحقق، ص٦.

٤ – سورة الرحمن ، الآيات : (١٩–٢٢).

٥ – يراجع : الإتقان في علوم القرآن ، ج ٤ ، ص ٢١٢، مرجع سابق ، والمعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة،ج١، ص ٦٢ ، مرجع سابق ، الملل والنحل ، للشهرستاني ،ج١ ، ص ١٥٠، مرجع سابق.

٦ – الباطنية وموقف الإسلام منها ، د. جميل أبو العلا ، ص ٢٣٦، مرجع سابق .

٧ – أدب مصر الفاطمية، د. مُحَمَّد كامل حسين، ص٢٩، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى، بدون تاريخ.

٨ – الباطنية وموقف الإسلام منها ، د. جميل أبو العلا ، ص ٢٣٦، مرجع سابق.

٩ – المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، ج١، ص ١٩٤ ، دار الكتاب اللبناني –بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م..

والمتحجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم ، والباطنية فرقة من فرق الشيعة ، تعتقد أن للشريعة ظاهراً وباطناً ، وتمعن في التأويل (١)، ومن ثم لابد لنا من الوقوف على تعريف الباطنية وعقائدها والتعرف على أشهر فرقها قديماً وحديثاً حتى تتضح الرؤية في ذهن القاريء وترتسم.

أ– الباطنية:

الباطنية نسبة إلى التأويل بالباطن(٢)، وهي مأخوذة من كلمة بطن بمعنى خفي فهو باطن، جمعه بواطن، واستبطن أمر وقف على دخلته، والباطنة بالكسرة، السريرة، والباطن هو داخل كل شيء ومن الأرض ما غمض يسمى باطناً(٣)،وسبب تسميتهم بهذا الاسم: لأنهم يزعمون أن لظواهر القرآن بواطن يعرفونها دون سواهم، وقال الشهرستاني في سبب تسميتهم بهذا اللقب:(إنه لزمهم لحكمهم بأن لكل شيء ظاهراً وباطناً،ولكل تنزيل تأويلا)(٤) .

ب– أصل الباطنية وظهورهم:

يرى الدكتور مُحَمَّد أحمد الخطيب(أن مؤرِّخي الفِرَق مختلفون في الأصل التاريخي للباطنية ومصدرها؛ فمنهم مَن يُرجِعها إلى المجوس، ومنهم مَن ينسبها إلى صابئة حرَّان، إلاَّ أن هذا الاختلاف يزول عندما نعرف أن الأصول التي يعتمد عليها الباطنية بكلِّ فِرَقِها وطوائفها نابعةٌ من الفلسفة اليونانية التي غزت بأفكارها الكثير من الفرق) (٥).

وكما اختلف الباحثون في تحديد الأصل التاريخي للباطنية ومصدرها فإنهم اختلفوا في تحديد زمن ظهورها ونشأتها، فيذكر الإمام السيوطي أن أول ظهور للباطنية كان في سنة اثنتين وتسعين للهجرة، ويرى غيره إلى أن ظهورهم كان سنة ٢٠٥هـ ، وقال آخرون سنة ٢٥٠هـ، بينما يرى بعضهم أن ظهور مذهب الباطنية يرجع إلى إنشاء زعيمهم "ميمون القداح "هذا المذهب سنة ٢٧٦هـ ، وينسب البعض ظهور الباطنية إلى مؤسس ما يعرف بالدعوة الجديدة أو الطائفة

---

١ – المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج١، ص ٦٢ ، مرجع سابق.

٢– مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، ص٧٥١ بتصرف، ط دار العلم للملايين، بيروت نيسان ، أبريل ١٩٩٧م.

٣ – يراجع : المرجع السابق نفسه ، وموقف الزيدية وأهل السنة من العقيدة الإسماعيلية ، د. كمال الدين نور الدين مرجوني ، ص ٣٣، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.

٤ – الملل والنحل ، للشهرستاني ،ج١ ، ص ١٥٠، مرجع سابق.

٥ – الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، د. مُحَمَّد أحمد الخطيب ، ص ٢٠، مكتبة الأقصى ، عمان – الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

الإسماعيلة النزارية المشرقية أو الباطنية أو الحشاشون وهو "حسن الصباح"، الملقب بالسيد أو شيخ الجبل (١).

ويرى آخرون أن ظهور حركة الباطنية في أيام المأمون على يد "عبد الله بن ميمون" و"القداح حمدان بن قرمط "، وأنهم اجتمعوا في سجن المهدي، للتنسيق بينهم، وكانوا أربعة رجال، وهم: أحمد بن الحسين، وعبد الله بن ميمون بن قداح، والزنداني، وحمدان بن قرمط ، وأن هذه الدعوة انتشرت في زمن المعتصم العباسي (٢)، وهذا الخلاف له ما يبرره ، إذ أن من أصول مذهبهم السرية عدم نشر عقائدهم وأفكارهم .

(وأياً ما كان الاختلاف فإن الذي يجمع بين الباطنية هو التأويل الباطني ، أي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلاً يذهب مذاهب شتى يصل بينها التباين حد التناقض ، وهذا التأويل عندهم هو القاعدة وليس الاستثناء ، فقد حرروا أحكام التشريع والنصوص الدينية من قواعد العربية ،بدعوى أن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل مع تعميمهم ذلك في العقائد والعبادات والمعاملات والثوابت والمتغيرات والغيبيات والمغالاة فيما دعوه أسراراً ورموزاً وإشارات إلى حقائق خفية ، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي من شأن أهل العلم) (٣)،(ثم إن الباطنية لما تأولت أصول الدّين على الشّرك احتالت أيضاً لتأويل أَحْكَام الشَّرِيعَة على وُجُوه تُؤَدّى إلى رفع الشَّرِيعَة أَو إلى مثل أَحْكَام الْمَجُوس، والذى يدل على أن هَذَا مُرَادهم بِتَأْوِيل الشَّرِيعَة أَنهم قد أباحوا لأتباعهم نِكَاح الْبَنَات والأخوات وأباحوا شرب الْخمر وَجَمِيع اللَّذَّات)(٤)، لاستمالة قلوب أتباعهم وتكثير

---

١ – الملل والنحل ، للشهرستاني ،ج١ ، ص ١٥٠، مرجع سابق. يراجع : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، للإمام عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور ، ص ١٦، ٢٦٦ و ٢٦٨ ، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م ، و التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، طاهر بن مُحَمَّد الإسفراييني، أبو المظفر ، تحقيق :كمال يوسف الحوت ، ص ٢٢، ١٤١، الناشر: عالم الكتب – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، معتقدات الشيعة الباطنية وأثرها في هدم الشريعة الإسلامية ، سماعين بلجيلالي ، ص ٤٤٨-٤٤٩، حوليات جامعة الجزائر ١، المجلد ٣٥، العدد١، ٢٠٢٠م، مقال بجريدة اليوم السابع ، بعنوان : متى ظهر مصطلح الباطنية – سبب تسميتهم وموقف أهل السنة من الطائفة ، بقلم . مُحَمَّد عبد الرحمن ، ١٤/٥/ ٢٠٢٠.

٢ –يراجع : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، للإمام البغدادي ، ص ١٦ و ٢٦٦ و ٢٦٨ ، مرجع سابق ، و التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، طاهر بن مُحَمَّد الإسفراييني، أبو المظفر ، تحقيق :كمال يوسف الحوت ، ص ٢٢، ١٤١، مرجع سابق .

٣ –مذاهب –الإسلاميين ، د عبد الرحمن بدوي ، ص٧٥١ بتصرف ، مرجع سابق.

٤ –الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، للبغدادي ، ص ٢٧٠.

سوادهم، ومن ثم (أسقطوا عنهم فرائض العبادات وتأولوا أركان الشريعة ، فقالوا : معنى الفرائض موالاة زعمائهم وأئمتهم ، ومعنى المحرمات تحريم موالاة أبي بكر وعمر وكل من خالف مذهب الباطنية)(١).

(فالباطنية وفتنتهم على الْمُسلمين شَرّ من فتْنَة الدَّجَّال ، فَإِن فتْنَة الدَّجَّال إِنَّمَا تدوم أَرْبَعِينَ يَوْمًا وفتنة هَؤُلَاءِ ظَهرت أَيَّام الْمَأْمُون) (٢).

ج – أشهر الفرق الباطنية:

تعددت فرق الباطنية الذين يجمعهم القول بالباطن من إسماعلية، وقرامطة ، ودروز ، وبهائية وقديانية، وغيرهم كثير ، وسوف أقتصر هنا على ذكر أشهرها قديماً وحديثاً ، على النحو الآتي :

١– الإسماعلية(٣): وهم فرقة من الشيعة الأمامية انشقوا عن الإمامية الاثني عشرية عندما وقع الخلاف على من يكون الإمام بعد جعفر الصادق فقالت الاثنا عشرية :إنه موسى الكاظم، في حين قالت الإسماعلية:إنه إسماعيل بن جعفر الصادق(٤)،(وتعد الإسماعيلية من فرق الباطنية لاستنادها إلى التأويل والفلسفة، فهي فرقة شيعية إمامية علوية فاطمية باطنية) (٥)

١ –التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ،طاهر بن مُحَمَّد الإسفرايين، ص ١٤٢.

٢ – المرجع السابق، ص١٤٠-١٤١.

٣ عقائد الإسماعلية :الإسماعيلية وإن تستروا في الدين إلا أن عقائدهم تختلف في مباحثها عن عقائد الإسلام ،حيث إنهم يؤلون النصوص تأويلاً فاسداً ينتزعها من سياقاتها العقدية والتشريعية والأخلاقية ، ويعتقدون أن النبوة لم تختم بالنبي مُحَمَّد –ﷺ –، وأن ظاهر الدين قد تغير مع كل نبي، لكن باطن الدين –وهو يشتمل على حقائق أبدية يبقى دون تغيير وذلك لا يعرف إلا عن طريق إمام مختار عنده علم التأويل ، والإمام عندهم قد يكون مستوراً وقد يكون ظاهراً . يراجع : الملل والنحل ، للشهرستاني ، تحقيق : مُحَمَّد سيد كيلاني ، ص١٩٠ ، مرجع سابق ، والفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات (النشأة . التاريخ .العقيدة. التوزع الجغرافي)، سعد رستم، ص٢٨١-٢٩٠، الناشر دار الأوائل للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة،٢٠٠٥م. والشيعة التاريخ الكامل ، د .رجب مُحَمَّد بخيت ، ص١٨٢ ، مكتبة الإيمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م ، الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث (اليهودية . المسيحية . الإسلام) دراسة مقارنة ، د.مُحَمَّد غالب بركات ، ١٧٤-١٧٥،دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١م.

٤– يراجع :اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : للإمام مُحَمَّد بن عمر بن الحسين الرازي ، تحقيق : علي سامي النشار ، ص٥٤ الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٢هـ.

٥– الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات (النشأة . التاريخ .العقيدة. التوزع الجغرافي) ، سعد رستم ، ص ٢٨١، مرجع سابق.

٢ –القرامطة [١] : من أشهر فصائل الإسماعلية الباطنية وأبرزها :القرامطة (وهي حركة ثورية تتفق جميعها على إمامة مُحَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق) [٢] .

يقول الشهرستاني: (والصنف الثامن عشر من الرافضة وهم القرامطة، يزعمون أن النبي –ﷺ – نص على علي بن أبي طالب ، وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ،وأن الحسن بن علي نص على إمامة أخيه الحسين بن علي وأن الحسين بن علي نص على إمامة ابنه علي بن الحسين وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه مُحَّد بن علي ونص مُحَّد بن علي على إمامة ابنه جعفر ونص جعفر على إمامة ابن ابنه مُحَّد بن إسماعيل ، وزعموا أن مُحَّد بن إسماعيل حي إلى اليوم لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم) [٣] .

وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، كان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى مُحَّد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية.[٤].

٣–الدروز : (فرقة إسماعيلية اتسمت بإخفاء عقيدتها عن غيرهم من الفرق وقد نشأوا إبان العهد الفاطمي، وظلوا منطوين على أنفسهم ينأون بعقيدتهم أن تذاع أو بأن تشيع وتعرف بين سائر الناس)[٥]، وتنسب إلى مؤسسها مُحَّد بن إسماعيل الدرزي، و هي طائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية[١]،

---

١ – عقائد القرامطة: هي نفسها عقائد الإسماعلية التي تخالف تعاليم الإسلام بخلاف بعض النواحي التطبيقية التي لم تستطع الاسماعيلية تطبيقيها خوفاً من ثورة الناس عليهم ، وقد تميز القرامطة عن الإ سماعيلية بجرأتهم على إشاعة النساء والمال ليجمعوا حولهم أصحاب الشهوات والمراهقين وأسافل الناس . يراجع : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، لعبدلله الأمين ، ص ١٣٤–١٣٦ ، دار الحقيقة –بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩١م.

٢– الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات (النشأة . التاريخ .العقيدة. التوزع الجغرافي) ، سعد رستم ، ص ٢٩٠، مرجع سابق.

٣ – مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن الأشعري ، تحقيق : نعيم زرزور ، ج ١ ، ص ٤٠، الناشر: المكتبة العصرية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٤ – يراجع : الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث ، د. مُحَّد غالب ، ص ١٧٨–١٧٩، والفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات ، ص٢٩٠–٢٩١، التأويل والانحرافات العقدية "تقرير حقائق وتفيد مزاعم " د. عبدالناصر محمود عبدالسلام جمعة،ص ١٨، مرجع سابق .

٥ – إسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ،ص،٢٥٩، الناشر: الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م ، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، د.عبدالله الأمين، ص ٢٠٢، الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث ، د. مُحَّد غالب ، ص ١٩٥، والتأويل والانحرافات العقدية (تقرير حقائق وتفيد مزاعم)، د. عبدالناصر محمود عبدالسلام جمعة،ص ١٨، مرجع سابق.

من غلاة الباطنية يعتقدون ألوهية الحاكم بأمره[٢]، وقد انشقوا عن الإسماعيلية في الظاهر وإن كانوا متفقين معهم في جوهر عقائدهم،وأشهر دعاهم هو حمزة بن علي الزوزاني،أضفى على نفسة الصفات الإلهية، وادعى أنه هو الذي أملى القرآن على النبي ﷺ[٣].

٤–النصيرية [٤]:طائفة من غلاة الشيعة الذين ألَّهوا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – [٥]، وتنسب إلى داعيهم مُحَمَّد بن نصير،كان يدَّعى أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري –عليه السلام– وأوصى له بالإمامة من بعده ، فهو الإمام الثاني عشر الغائب، وكان يغالي في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية ، والنصيرية لهم جماعة ينصرون مذهبهم ويذبون عن أصحاب مقالاتهم، وبينهم خلاف في كيفية

١ – عقائد الدروز سرية تنبع سرّيتها من أصولها ومناهلها ، والسرية فيها –إذاً– ليست من باب التقية كما هو الحال في المذاهب الباطنية ، وإنما هي سرية مشروعة نابعة من أصول العقيدة، فإن صيانةالحقائق في مسلك الدروز أصل وأس رئيس وليس نهجاً طارئا ...وهي عقيدة تتلقَّح الفلسفة وتغوص إلى أعماق بعيدة في التأويل ، ومن ثم كانت صعوبتها على العامة وحجْبُها تبعاً لذلك . الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات ،سعد رستم ، ص ٣١٦، مرجع سابق ، و يراجع في عقائد الدروز : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د. مُحَمَّد أحمد الخطيب ، ص ٢٢٣ومابعدها ، مرجع سابق ، وإسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ، ٢٦٨وما بعدها ، مرجع سابق.

٢ – الحاكم بأمر الله. أبو علي، صاحب مصر ابن العزيز نزار بن المعز بالله العُبيدي كان جواداً سمحاً، خبيثاً ماكراً، رديء الاعتقاد، سفاكاً للدماء، قتل عدداً كبير من كُبراء دولته صبراً، وكان عجيب السيرة، يخترع كل وقت أموراً وأحكاماً يحمل الرعية عليها، فأمر بكُتُب سبِّ الصحابة على أبواب المساجد والشوارع، وأمر العمال بالسب في سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة، والبعض يحاول تصويره عكس ذلك ، هذا و الدفاع عن الحاكم يعتبر شذوذاً وزوراً ويكفي لرد سخافته ما أجمع عليه العلماء من تاريخ ذلك الحاكم الضال، وقد وقع الخلاف في موته فقيل : إن أخته ست الملك قد دبرت اغتياله ،وبعض العلماء ينكر أن تكون أخته قتلته ، وقيل: إن الحاكم قتل نتيجة مؤامرة يهودية لاضطهاد الحاكم لهم، وقيل:إنه قتل بسبب مؤامرة باطنية لما أفشاه من مذهبهم السري ، وأن مؤامرة قتله أعدت بإحكام من قبل سلطات الدولة الرسمية وبمباركة دعاة الإسماعيليين . يراجع :تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ، ج ٢٨ ، ص ٢٨٣، دار النشر: دار الكتاب العربي.لبنان– بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ، فرق معاصرة معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، د. غالب بن علي عواجي ، ج٢ ، ص٥٩٦ ، الدار العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

٣ –يراجع :فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، د. غالب بن علي عواجي ، ج٢ ، ص ٥٩٧–٥٩٨، و الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د . مُحَمَّد أحمد الخطيب ، ص١٩٩، مرجع سابق .

٤ – عقائد النصيرية: يعتقد غالبيتهم في ألوهية الإمام علي –رضي الله عنه–والأئمة من آل البيت يؤمنون بعصمة الأئمة ، وتناسخ الأرواح ، وإسقاط التكاليف وإباحة المحرمات .جذور الفتنة في الفرق الإسلامية ، حسن صادق ، ص١٠٢ وما بعدها ، مكتبة مدبولي – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

٥ – يراجع : دراسات في الفرق والمذاهب القديم والمعاصرة ، د. عبدالله الأميين ، ص ١٦٢، مرجع سابق.

إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت ،وكانوا يعتقدون في تناسخ الأرواح وللنصيرية الآن أتباع في جبال اللاذقية في سوريا وفي الأطراف الشمالية للبنان وفي جنوب تركيا وكردستان (١) .

٥–البهائية(٢) : (تمثل البهائية أعلى مرحلة من مراحل التآمر التاريخي على الإسلام ابتدأ بالباطنية المجوسية ، وانتهى إلى باطنية الصهيونية العالمية وأجهزة التبشير الصليبي ، ومركز الماسونية العالمية)(٣)، أسسها الميرزا حسين علي النوري المازندراني ،وهو منسوب إلى قرية نور من أعمال مازندران ، بإيران ، ولد سنة ١٩١٧م ، وأبوه الميرزا عباس بزرك النوري ، كان موظفاً بوزارة المالية ، اشتهرت الأسرة بولائها الشديد للسفارة الروسية (٤)،وسمى نفسه بهاء الله وهي الطور المتطور لعقيدة البابية والبهاء لم يدع انسلاخه من الإسلام دفعة واحدة، وإنما ادعى في البداية أنه إنما هو واحد من أمة النبي –ﷺ –، ثم ادعى أنه القائم ، ثم المهدي المنتظر، ثم مجدد عصره ، ثم أنه المسيح الموعود ، ثم ادعى النبوة ، ثم ادعى الربوبية(٥) .

٦–القاديانية: تنسب إلى غلام أحمد القادياني، ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م ، تعلم الفارسية والعربية والمنطق والفلسفة ، واهتم بدراسة كتب التفسير والحديث ، بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله ، ثم

---

١ – يراجع: والملل والنحل ، للشهرستاني ،ج١ ، ص ١٧٢ ، وفرق الشيعة للنوبختي ، ص ٩٣ ، الناشر :دار الأضواء ،١٤٠٤هـ ، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. مُحَمَّد أحمد الخطيب ، ص٣٢٣ ، وجذور الفتنة في الفرق الإسلامية ، حسن صادق ، ص١٠٢، مرجع سابق ، والتأويل والانحرافات العقدية "تقرير حقائق وتفنيد مزاعم "، د. عبدالناصر محمود عبدالسلام جمعة،ص١٩.

٢ – عقائد البهائية : الناظر في مبادىء البهائيين يكتشف لأول وهلة أن عقائدهم خليط من نحل ومذاهب وعقائد متباينة ، فهي مزيج من عقائد ومذاهب ديانات الهند القديمة والصين وفارس واعتقادات الفلاسفة وغلاة الصوفية والباطنية والأديان والشرائع السماوية .يراجع :البهائية وجذورها البابية ، د . عامر النجار ، ص٧٤ ، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية–القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٩٦ م ، والحراب في صدر البهاء والباب ، لمحمد فاصل ، ص٢٧٠وما بعدها، دار التقدم – مصر ، الطبعة الأولى ،١٣٣٥هـ–١٩١٧م.

٣ – حقيقة البابية والبهائية ، محسن عبد الحميد ، ص ١١٩، بدون طبعة ، بدون تاريخ.

٤ – يراجع : البهائية وسائل وغايات ، د .طه الدسوقي حبيشي ، ص٥٢ وما بعدها ، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ، والإسلام والدعوات الهدامة لأنور الجندي ، ص٧١ وما بعدها ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٤م، فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام ، د.غالب بن علي عواجي ، ج ٢، ص٦٦٣وما بعدها،مرجع سابق.

٥ – يراجع : حقيقة البهائية ، د . مصطفى محمود ، ص ٥٩ وما بعدها، دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ ، والحراب في صدر البهاء والباب ، لمحمد فاصل ، ص٢٥٥وما بعدها ، مرجع سابق ، البهائية وجذورها البابية ، د . عامر النجار ، ص٥٦ ، مرجع سابق.

تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا مُحَمَّد ﷺ [١].

والقاديانية يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة ،ويعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل أفضل منهما، وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم، نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد ، كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية ؛ لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن ،و كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية ، كما أن من تزوج أو زُوج من غير القاديانيين فهو كافر[٢].

ثالثاً: أهل السنة والجماعة :

قال ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب : (اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل وان اختلفوا في الطرق والمباديءالموصلة لذلك ، وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف :

الأولى: أهل الحديث ومعتمد مبادئهم الأدلة السمعية ، أعني الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية :أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية وهم الأشعرية والحنفية وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي وهم متفقون في المباديءالعقلية في كل مطالب .

الثالثة: أهل الوجدان والكشف وهم أهل الصوفيه ومباديهم مبادى أهل النظر والحديث فى البدايه والكشف والإلهام فى النهاية) [٣] .

---

١ – التأويل والانحرافات العقدية "تقرير حقائق وتفيد مزاعم "، د. عبدالناصر محمود عبدالسلام جمعة،ص٢٠، ويراجع: القاديانية، د. عامر النجار ، ص ٧-١٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ،١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، وفرق معاصرة تنسب للإسلام، د. غالب بن علي عواجي ، ج٢ ،ص، ٧٤٤ ،مرجع سابق.

٢ –يراجع : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مجموعة من المؤلفين ، إشراف وتخطيط ومراجعة ، د. مانع بن حماد الجهني ، ج ١ ، ص ١١٧-١١٨، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة،١٤٢٠هـ ، وموسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، إعداد مجموعة من الباحثين ، إشراف الشيخ . علوي بن عبدالقادر السقاف ، ج ١٠، ص٩٨، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت ، ربيع الأول ، ١٤٣٣هـ، وأطلس الفرق والمذاهب في التاريخ الإسلامي ، سامي بن عبدالله بن أحمد المغلوث ، ص ٥٩٨، العبيكان للنشر – المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، والقاديانية ومصيرها في التاريخ ،د. طه الدسوقي حبيشي، ص٢٩ وما بعدها ، ط مكتبة الإيمان ، والقاديانية دراسات وتحليل ، إحسان إلهي ظهير ، ص٢٦ومابعدها ، دار الإمام المجدد للنشر و التوزيع القاهرة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ،إسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ، ص ٣٧٦وما بعدها ، مرجع سابق .

٣ –يراجع : إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: لمحمد بن مُحَمَّد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى ، ج ٢ ص ٦-٧، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م ، والروضة البهية فيمابين الأشاعرة

وقال السفاريني[(١)]:(أهل السنة والجماعة ثلاث فرق [(٢)]: الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل–رضي الله عنه– ، والأشعرية وإمامهم أبوالحسن الأشعري –رحمه الله– والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي)[(٣)].

ويبين الإسفراييني سبب تسميتهم بأهل السنة فيقول:(وليس من فرق الأمة أكثر متابعة لأخبار الرسول –صلى الله عليه وسلم– من هؤلاء ؛ولهذا سموا بأهل السنة)[(٤)].

وقد اتّفق جُمْهُور أهل السّنة وَالْجَمَاعَة على أصول من أركان الدّين كل ركن مِنْهَا يجب على كل عَاقل بَالغ معرفَة حَقِيقَته وَلكُل ركن مِنْهَا شعب وَفِي شعبها مسَائِل اتّفق أهل السّنة فِيهَا على قَول وَاحِد وضللوا من خالفهم فِيهَا ، ومن خصائصهم : لزوم الجماعة ، والاعتصام بحبل الله جميعاً وعدم التفرق والتنازع [(٥)] .

مما سبق يتضح أن أهل السنة والجماعة هم الذين اقتفوا أثر السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، والتزموا الاعتدال والتوسط ، وابتعدوا عن الافتعال والتعسف ، ورجعوا في عقائدهم إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، والرأي والقياس والاجتهاد بعيداً عن الغلو المذهبي والتطرف الفكري والتعسف في إصدار الأحكام [(٦)].

والماتريدية، للشيخ . نور الدين حسن بن عبد المحسن المعروف بأبي عذبة ، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، ص ٥ مقدمة المحقق ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

١ – السفاريني : محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، شمس الدين، عالم بالحديث والأصول والأدب محقق ، ولد في سفارين ورحل إلى دمشق ، فأخذ عن علمائها ، وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى ، وتوفي فيها . الأعلام للزركلي ، ج٦، ص١٤، مرجع سابق .

٢ – يقول الدكتور علي جمعة : (وأغفل السفاريني الصوفية لا لأنه لم يعدهم من أهل السنة والجماعة ؛ وإنما لأنه لم يعدهم مذهباًعقائدياً، بل هو مذهب سلوكي فلم يستقل الصوفية بمذهب في إثبات قضايا التوحيد ، بل كانوا يتبعون في الغقيدة أهل السنة والجماعة إما بموقف أهل الحديث ، أو موقف الأشاعرة والماتريدية) . البيان لما يشغل الأذهان ، د. علي جمعة ، ج ٢، ص ٢٣–٢٤، دار المعارف القاهرة ، بدون تاريخ .

٣ –لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لشمس الدين أبوالعون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ، ص ٧٣، الناشر:مؤسسة الخافقين ومكتبتها — دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م .

٤ – التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، ص١٨٥، مرجع سابق.

٥ – يراجع : الفرق والمذاهب في الرسالات السماوية ، مُحَمَّد غالب ، ص ١٥٧، مرجع سابق.

٦ – يراجع : إسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ،٤٩١، مرجع سابق.

المبحث الأول
منهج[١] التأويل الباطن

مدخل :

لا مرية أن وجود المنهج ضروري لضبط عمليات الاستدلال وسلامة الرؤى والتصورات ، (فهو العمدة في تقرير قضايا الدين ، والمعول عليه في الإثبات والنفي والقبول والرفض ، ومن المقرر شرعاً وعقلاً أن سلامة منهج الاستدلال الأساس في تكوين بنية دلالية منضبطة ، وفي تأصيل قضايا المعتقد والرأي ، لا سيما أن الأحكام والمعاني والمضامين أمشاج في أرحام الأدلة ، ولابد من رحم صحيح قابل لاحتضان تلك الأمشاج الدلالية التي تمثل جوهر الفكرة وتضمن له حياة مستقيمة وبناءً صحيحاً يضمن بقاءه واستمراريته) [٢].

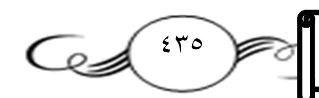
وإن غياب المنهج يؤدي إلى ظهور كثير من التناقضات ، والجدليات العقيمة ، وإغراب الرؤى والتصورات ، واعتساف التفسير ، وفساد التأويل ، وتكلف الاستدلال والتحكم في مساراته ، ولي عنق النصوص لتأييد الأحكام المسبقة ، وإنشاء الأدلة لتعميق الاعتقاد الديني ، وتدعيم المذهبية والانقسام ، وقد عانى منهج التأويل عند الباطنية من غياب الرؤية المنهجية التي أوقعتهم في كثير من الإشكاليات والأخطاء المنهجية ، والرؤى والتصورات المعتسفة ، والتفسيرات الفاسدة والتأويلات الباطلة ، وهو ما سوف أسوقه في المطالب الآتية :

---

١ – المنهج في اللغة : تدور مادة نهج حول عدة معان منها : الطريق ، يقال :طريق نهج بين واضح.. وطرق نهجه وسبيل، منهج : كنهج، والمنهاج كالمنهج ، وفي التنزيل:﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًاۚ ﴾ المائدة (٤٨) ، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بَيِّنَاً.. والمنهاج: الطريق الواضح ، ثم استعمل المنهاج حديثاً بمعنى الخطة المرسومة، والنهج البين الواضح يقال: طريق نهج وأمر نهج ، والطريق المستقيم الواضح. يراجع : لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٣٨٣، مرجع سابق ، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ، مجموعة من المحققين ، ج ٦ ، ص ٢٥١–٢٥٢، دار الهداية ، المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٩٥٧، مرجع سابق .

المنهج في الاصطلاح : المنهج: هو خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها. ايرا : معجم اللغة العربية المعاصرة ، د .أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون ، ج ٢ ، ص ٢٢٩١،الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م جع : ، وقيل : هو "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته الفكرية حتى يصل إلى نتيجة معلومة". مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، ص٥ ، وكالة المطبوعات، الكويت، ط ثالثة، ١٩٧٧م.

٢– منهج الشيعة الاستدلالي دراسة نقدية ، د . أحمد إسماعيل أبو شنب ، ص ٢ بدون طبعة ، ١٤٤١هـ –٢٠١٩م.



المطلب الأول
التجرد من الضابط

يعتبر وجود الضابط أحد الضمانات المنهجية لدقة التفسير وصحة التأويل وصدق النتائج وسلامة الرؤى والتصورات ، وإن عدم وجوده يمثل خطراً كبيراً من الناحية المنهجية ويؤدي إلى الوقوع في إشكاليات وأخطاء تؤثر على عمليات الاستدلال وفهم النصوص، وتفتح الباب أمام التأويلات الباطلة والأهواء الشخصية والرؤى المذهبية ، والذي يطالع الفكر الباطني يتضح له أنه لا توجد عند الباطنية قواعد أو ضوابط تضبط عملية التأويل ، وإنما هم يعتمدون في التأويل على ما يوافق أهوائهم والآراء الخاصة التي تؤيد مذهبهم دون مراعاة لضوابط فهم النص القرآني ، (فيتجرد حينئذ الباطن ويسقط الظاهر ويكون الباطن ظاهراً على خلاف ما توجبه ظواهر النصوص ودلالات سياقاتها ، لأنه في صدورهم مرفوع إلى حججهم مستور عندهم محمول من واحد إلى واحد ، وهو معجزة لهم وعلم يستضاء به حتى يصل إلى صاحبه) [١] ،أي : الإمام المعصوم – على حد زعمهم – فقد تأولوا قصص الأنبياء على وجه يسقطها ، وأسوق فيما يلي عدداً من الشواهد التي تؤكد ذلك ومنها:

–أنهم أولوا قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ [٢] ،فقالوا: (إن الملائكة الذين قال الله لهم ما قال من أمر آدم لم يكونوا جميع الملائكة ، ولكن لما أراد الله خلق آدم الخلق الثاني الذي هو خلق العلم كما قال سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾ [٣]، وأن ينصبه لهم إماماً [٤]، ندب من الملائكة اثني عشر نقيباً ليقيمه لهم نقيباً، ويأخذون منه ، ويبلغون عنه أهل الأرض ، فلما عرفهم أنه يخلقه من طين ، والطين في الباطن هو العلم الظاهر الكثيف الجسداني ، وكان الله قد خلق الملائكة في خلق العلم اللطيف الروحاني الباطن ، وكان فيما سبق إليهم من العلم أن اللطيف لا يتصل بالمادة ، والكثيف لا يكون إلا بالتعليم ، وأن العلم الروحاني اللطيف لا يرتبط بالأعمال ، وإنما هو علم بلا عمل ولا تكليف ، كما يكون علم الظاهر لقول أمير المؤمنين –عليه السلام – في القرآن : " ظاهره

---

١ –الباطنية وموقف الإسلام منهم، د. جميل أبو العلا ، ص ٢٥٩–٢٦٠، مرجع سابق.

٢ – سورة ص ، الآيتان : (٧١–٧٢) .

٣ – سورة المؤمنون ، الآية : (١٤) .

٤ – الإمام عند الباطنية ومن بعده: يعتبر كل منهم هادياً في زمنه حتى يختتم ذلك الدور، ومرموز إليه بحرف" أ".يراجع:ت أويل الدعائم للقاضي النعمان بن حيوان ، مقدمة المحقق ، ص ٣٩، مرجع سابق .

علم موجوب وباطنه علم محجوب")[١]. وهذا العلم الباطني اللطيف الروحاني – على حد زعمهم– هو محل تفاخر آدم وتفاضله على الملائكة بل وعلى إبليس (الذي أعلن أن أفضل من آدم ، وأبدى ما كان أسَّره ، وجاهر بمعصيته ورفض السجود ،فغضب الله عليه ولعنه وطرده بقوله:﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[٢]، فأخرجه من حدود التأييد وقطعها عنه ، وطرده عنها، وخلق الله –عزوجل – حواء من آدم لقوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[٣]، وكذلك خلق التأييد لا الخلق الجسداني ، أي أمر الله آدم فتولى تأييدها وتعليمها وتبصيرها وقرنها به ، وجعلها زوجته وهي حجته عوضه الله بها بدلاًمن إبليس الذي كان مؤهلاً ليكون حجة [٤]لآدم ، وجعله من الاثنى عشر نقيباً ..، والنقباء بعلم الباطن اثنى عشر[٥] وكذلك مثلهم في علم الظاهر، ثم أسكن الله سبحانه ونعالى آدم وزوجته الجنة ، وهي في الباطن حدود الرسل من التأييد فمن دونهم إلى النقباء) [٦].

–كما أنهم أولو ا الشجرة التي نهاهما الله عن أكلها بأنها (مثل لحد قائم الزمان الذي هو صاحب القيامة والذي يكون التكليف في حده مرفوعاً إن لم تكن عملت به من قبل)[٧].

–ومن ذلك قولهم في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٨]، أي جاء علم التأييد وبلغكم به الأساس[٩] وصدر عنه علم التأويل ذو النور[١٠].

---

١ – أساس التأويل للنعمان ، ص ٥٤ .
٢ – سورة الحجر ، الآيتان : (٣٤–٣٥) .
٣ – سورة النساء، الآية : (١) .
٤ –الحجة عند الباطنية : هو في مكانته ومنصبه للإمام بمثابة الوصي ، ومرموز إليه بحرف " ح " . يراجع : تأويل الدعائم للقاضي النعمان بن حيوان ، مقدمة المحقق ، ص ٣٩، مرجع سابق .
٥ – النقباء : هم الاثنا عشر إماماً الذين يعتقد الشيعة ومن وافقهم من فرق الباطنية أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد نص عليهم ليكونوا خلفاء من بعده ، وهم : علي بن أبي طالب والحسن والحسين والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي .شيعة ويكيبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/
٦ – أساس التأويل للنعمان ، ص ٥٨–٥٩بتصرف .
٧ – أساس التأويل للنعمان ، ص ٦٢–٦٣ .
٨ –سورة هود ، الآية :(٤٠) .
٩ – الأساس : هو الذي يقيمه الناطق ليخلفه في أمته. يراجع : تأويل الدعائم للقاضي النعمان بن حيوان ، مقدمة المحقق ، ص ٤٤ مرجع سابق .
١٠ –أساس التأويل للنعمان ، ص ٨٢.

–وكذلك أولوا الطوفان(بالعلم أغرق به المتمسكون بالسنة ، والسفينة حرزه الذي تحصن به من استجاب لدعوته)[١]، والموج مثلٌ لمن تصور بالعلم ووسم نفسه من علماء الظاهر وهو خال من العلم يتلاشى من بين يديه كما يتلاشى الموج الذي إذا اجتمع كان في رأي العين كالجبل ودعوة الحق تجري على رؤوس هؤلاء المتشبهين بالعلماء وتخرقهم كما تخرق السفينة الموج)[٢]

يقول النعمان بن حيوان في قوله تعالى:﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾[٣]**،(أي ألوذ بأحد علماء الظاهر فآخذ عنه وأعتصم به من حجة أساسك الذي طغى عليَّ بعلمه)[٤]، ثم يقول في قوله تعالى:**﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِى وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِىَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِىِّۖ وَقِيلَ بُعۡدًا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[٥] **: إن الأرض مثل الأساس الذي أقامه نوح لدعوته الباطنة وأمره أن يستر ما صار إليه من العلم الباطني وصيانته عن غير أهله والاستيلاء عليه وجمعه، والسماء مثل للناطق[٦] وهو هنا نوح أُمر لما أقام أساسه لتأدية الباطن أن يقلع هو عنه ويسلمه إلى من أقامه له[٧] ويُقبل هو على الظاهر الذي أقيم له ، و غيض الماء ، أي غاض العلم الباطني في الحجة الذي هو أساس الشريعة واستوت على الجودي يعني أن الدعوة انتهت إلى المستجيبين [٨])[٩].**

–وأولوا قوله تعالى في حق نبي الله إبراهيم :﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبًاۖ ﴾[١٠] **(بأن الليل مثل للكتمان ، فلما أخذ عليه الداعي العهد الكريم وأمره فيه بالستر والكتمان ، أي لم تكن هناك أدلة مادية من نجم وقمر وشمس ، وإنما هو تصوير لما تم مع إبراهيم وانتقاله بين الدعاة**

---

١ –فضائح الباطنية للغزالي ، ص٥٧.

٢ –أساس التأويل للنعمان ، ص ٨٣.

٣ –سورة هود ، الآية: (٤٣).

٤ –أساس التأويل للنعمان ، ص ٨٤.

٥ –سورة هود ، الآية:(٤٤).

٦ – الناطق:وهو الرسول من أولي العزم مرموز إليه بحرف" ن "يراجع :تأويل الدعائم للقاضي النعمان بن حيوان ، مقدمة المحقق ، ص ٣٩، مرجع سابق .

٧ – كما زعموا أن محمّداً –ﷺ –سلَّم الأمر لأساسه يوم غدير خم إلى علي بن أبي طالب ﷺ.يراجع :الباطنية وموقف الإسلام منهم ، د. جميل أبو العلا، ص ٢٦١.

٨ – المستجيب : وهو المؤمن الكامل ، مرموز إليه بحرف " ج " .يراجع : تأويل الدعائم للقاضي النعمان بن حيوان ، مقدمة المحقق ، ص ٣٩،مرجع سابق .

٩ –أساس التأويل للنعماني ، ص ٨٥.

١٠ –سورة الأنعام ، الآية : (٧٦) .

ومراتب الدعوة ، فكان كلما تعلم علماً من صاحب مرتبة ظن أنه لا يوجد من هو أعلم منه فإذا انتقل إلى غيره رأى الكثير)[١].

فانظر إلى هذا السفه والتجرأ على مقام النبوة ، فمن الداعي الذي أخذ العهد على أبي الأنبياء إبراهيم –عليه السلام – وأمره بكتمانه ؟ وهل كان في عهد نبي الله إبراهيم من هو أعلم منه وأفضل ؟ ومن هم الدعاة الذين تنقَّل بينهم في مراتب الدعوة ؟ ولماذا هذا التحريف وصرف الآيات عن معناها الحقيقي الذي ذكره الله تعالى ، وتأويل الكوكب والقمر والشمس بمنأى عن سياقها بلا ضابط أوقاعدة ؟ اللهم إلا تفريغ معجزات الأنبياء من محتواها ومقاصدها التي سيقت من أجلها ؛ لتحقيق أغراضهم في إضعاف جذوة الدين في نفوس الناس وصرفهم عنه.

وعلى منوال هذا السفه الباطني أولوا قوله تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [٢] (للطائفين يعني : اللواحق الاثنى عشر ، والعاكفين هم الأئمة الملازمون المقيمون..والركع الأسس والسجود النطقاء)[٣] ، ونار إبراهيم – عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [٤](عبارة عن غضب نمرود لا عن النار الحقيقية،وذبح إسماعيل معناه أخذ العهد عليه)[٥].

والمتأمل في هذه التأويلات الباطنية يجد أنها لا تخضع لقاعدة ، ولا يحدها قانون وتتجرد من الضابط وتنتزع الآيات من سياقها، فضلاً عن عدم اعتمادها على دليل يؤيدها وتتنافى مع أصول الإسلام ومقاصد شريعته ، وتخرج قصص الأنبياء عن هدفها ومقصدها ، وتجعل معجزاتهم ضرباً من الخيال ،ويخرجها من المعقول إلى اللامعقول ، ومن الحقيقة إلى الخرافة، ومن ثم اعتمدوا ذلك في دعم مذهبهم وتأييد باطلهم،(وهذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول،وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن، وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقرآن، بل هو شر من كثير منه، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه ، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه) [٦].

---

١ – أساس التأويل للنعمان، ص١١٠-١١١.
٢ –سورة البقرة الآية : (١٢٥) .
٣ –أساس التأويل للنعمان ، ص١١٧-١١٨ .
٤ –سورة الأنبياء ، الآية : (٦٩).
٥ – فضائح الباطنية للغزالي ،ص ٥٧.
٦ – منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، ج ٧،ص ٢٤٥.

المطلب الثاني
مجافاة الواقع الدلالي للآيات الكريمة والسنة الشريفة

تعد مطابقة الواقع الدلالي لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ضرورة لعملية الاستدلال والتفسير لأن غيابها يفتح الباب أمام أصحاب الأهواء ودعاة الباطل لانتزاعها من سياقاتها وإخراجها عن حقيقتها وتجريدها من واقعيتها وإحالتها إلى دروب من الوهم والخيال ، وقد أخذ الباطنية يؤولون نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تأويلاً يجافي الواقع الدلالي، الأمر الذي أدى إلى تأويلهم نصوص الدين وأصوله على غير وجهها، والاحتيال في تأويل أحكام الشريعة تأويلاً يؤدي إلى رفعها ، (فقالوا في قوله تعالى:﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ ﴾ [1] ، أي معادن الدين وهو العلم الباطن يرتضع منها أهلها، ويتغذى بها تغذياً تدور حياتهم اللطيفة ، فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم، كما أن حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدي الأم، وقوله: ﴿ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ ﴾ [2] ، هو العلم الظاهر)[3]،كما أولوا الأنهار من العسل المصفى بأنها (علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة) [4].

والمرء يعجب من هذه التأويلات التي انتزعت الآيات من واقعها الدلالي في بيان نعيم الجنة الذي أعده الله للمتقين من عباده ولا علاقة لها بعلم الباطن ولا ارتضاع العلم – كما يدَّعون– ، فضلاً عن أن تتعلق بالحجج والأئمة كما يدل عليه سياقها ، (فالآية استمرار في السياق أيضاً كما هو المتبادر، وقد استهدفت تقرير عدم إمكان التسوية في المصائر الأخروية بين الصالحين المهتدين والضالين المسيئين لعدم إمكان التسوية بينهم بسبب مسلك كل منهم والتعبيرات الوصفية عما في الجنة والعذاب في الآخرة مستمدة من مألوفات الدنيا في أصلها ،.. مع التنبيه إلى أن ما فيها ليس خارجاً عن نطاق قدرة الله تعالى ووجوب الإيمان بحقيقتها المغيبة التي أخبر عنها القرآن ، والوقوف عند ذلك مع الإيمان بأنه لا بد من حكمة سامية في ذكر ذلك لعل منها التشويق والترهيب) [5].

وفي هذا السياق المجافي للواقع الدلالي أولوا (عصا موسى بأنها حجته التي تلقفت ما كانوا يأفكون من الشبه لا الخشب ، وانفلاق البحر بافتراق علم موسى فيهم على أقسام ،

---

١ –سورة محمد ، الآية : (١٥).

٢ –سورة محمد ، الآية : (١٥).

٣ –فضائح الباطنية للغزالي ، ص ٥٦.

٤ –فضائح الباطنية للغزالي ، ص ٥٧.

٥ –التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ، ج ٨، ص ٣١٢–٣١٣، مرجع سابق.

والبحر هو العالم ، والغمام الذي أظلهم معناه الإمام الذي نصبه موسى لإرشادهم وإفاضة العلم عليهم ، والجراد والقمل والضفادع هي سؤالات موسى وإلزاماته التي سلطت عليهم ، والمن والسلوى علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوى ، وتسبيح الجبال معناه: تسبيح رجال شداد في الدين راسخين في اليقين ..وزعموا أن لعيسى –عليه السلام – أب من حيث الظاهر ، والمراد به الإمام إذ لم يكن له إمام بل استفاد العلم من الله بغير واسطة ، وزعموا –لعنهم الله –أن أباه يوسف النجار ، وأن كلامه في المهد معناه: اطلاعه في مهد القالب قبل التخلص منه على ما يطلع عليه غيره بعد الوفاة والخلاص من القالب ، وإحياء الموتى من عيسى معناه : الإحياء بحياة العلم عن موت الجهل الباطن ، وإبراؤه الأعمى معناه: عن عمي الضلال وبرص الكفر ببصيرة الحق المبين)[١] .

كما أن إبليس وآدم في نظرهم عبارة عن أبي بكر وعليّ إذ أمر أبوبكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبى واستكبر ، كما زعموا أن الدَّجال هو أبو بكر ، وكان أعوراً إذ لم يبصر إلا بعين الظاهر دون عين الباطن ، وأن يأجوج ومأجوج من أهل الظاهر [٢] ، وقالوا في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ ﴾ [٣]، أي كفروا بنعمة الإيمان وطغوا عن الحق وجحدوا أئمة الهدى، ونصبوا لأنفسهم الأصنام، فأول صنم من أصنامهم الطاغوتية أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ومن كان مثلهم في كل زمان ومكان[٤]،وقالوا في قوله تعالى:﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [٥]، أي لئن أشركت بين أبي بكر وعلي في الولاية[٦]، وتأولوا قول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾[٧]،بأن المراد بالبقرة عائشة [٨]، والذي يتأمل هذه التأويلات يتضح له تأولهم قصص الأنبياء على وجه يسقطها ، وافترائهم عليهم ، فضلاً عن تطاولهم على أصحاب رسول الله –صلى عليه

---

١ – فضائح الباطنية للغزالي ، ٥٧–٥٨.

٢ –التفسير والمفسرون ، د. مُحَّد حسين الذهبي ، ج ٢ ، ص ١٨٠، مرجع سابق .

٣ –سورة البقرة ، الآية : (٢٥٧).

٤ – بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، منقول من كتاب قواعد آل مُحَّد ، مُحَّد بن الحسن الديلمي ، عني بتصحيحه :ر.شتروطمان، ص ٩٠، بدون طبعة ، بدون تاريخ ، موقف الزيدية وأهل السنة من العقيدة الإسماعيلية وفلسفتها ، د. كمال الدين نور الدين حرجوني ، ص ٣٩١، مرجع سابق.

٥ –سورة الزمر، الآية : (٦٥).

٦ – منهاج السنة لابن تيمية ، ج ٣ ، ص ٤٠٥.

٧ –سورة البقرة ، الآية :(٦٧).

٨ – منهاج السنة لابن تيمية ، ج ٣ ، ص ٤٠٥.

وسلم– ، في مجافاة للواقع الدلالي للألفاظ ، ومعارضة لصحيح المنقول وصريح المعقول ،ولا دليل يؤيدها عقلاً ونقلاً ، وتتهافت أمام النقد الموضوعي من خلال ما يلي :

أولاً: تعرُّض معجزات الأنبياء للإنكار والتحريف بتأويلها بعيداً عن واقعها الدلالي والمقاصدي من التأييد للرسول وإثبات صدقه فيزداد المؤمنون إيماناً ويفحم الخصوم المعاندون ولا علاقة لها بالأئمة والحجج لا من قريب ولا من بعيد فأين هم من الأنبياء والرسل ؟!

ثانياً :تعارضها مع النصوص الصريحة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، التي تؤكد وقوع هذه المعجزات من الأنبياء على وجه الحقيقة ومشاهدة أقوامهم لها .

ثالثاً: إنكار نصوص القرآن الصريحة في نفي الأبوة عن نبي الله عيسى – عليه السلام – والقول بأن له أباً في الظاهر هو يوسف النجار ، وأن مراد القرآن من نفي الأبوة عنه أنه لم يكن له معلم ، أي إمام (وهذه سقطة لا يسقطها إلا جاهل موغل في الجهل، فإن سن الاستعداد للتعلم وقبول المعلم لا تكون في المهد..، أما نفي الأبوة عن عيسى –عليه السلام– فقد صرح به القرآن الكريم على لسان مريم –عليها السلام –قبل مولده في قوله تعالى:﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ [١]، فإن النفي صريح وقاطع في عدم اتصال البشر بها وعدم الأبوة لعيسى....،وكيف تربط الباطنية بين هذه الآيات وقوله تعالى في مجال إثبات حالة عيسى في عدم وجود أب له كآدم سواءاً بسواء : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [٢]، لكن الباطنية وهي تسلك طريقها المعوج في التأويل تكشف عن نواياها وتميط اللثام عن حقيقة غرضها وهو التشكيك والتشويه للقرآن الكريم وصرف الناس عنه) [٣].

رابعاً : تناقض هذه التأويلات عقلاً وواقعاً مع دلالات الألفاظ ، فمعنى "الطَّاغُوتِ": الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله [٤]، وقيل: مَرَدَةَ أهل الكتاب، وقيل : إن الطاغوت الشيطان، وجملته أن من يكفر به، وصدق باللَّهِ وما أمر به فقد استمسك بالعروة الوثقى، أي فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً لا تحله حجة [٥] ،فكيف يقال بعد ذلك : إن المراد بإبليس وآدم أبي بكرٍ

---

١ –سورة مريم ، الآية :(٢٠).

٢ –سورة آل عمران ، الآيتان :(٥٩–٦٠).

٣ –الباطنية وموقف الإسلام منهم ، د. جميل أبو العلا ، ٢٦٩–٢٧٠ بتصرف شديد.

٤ – جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، تحقيق: أحمدمُحَمَّد شاكر ، ج ٥ ، ص ٤٢٥، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٥ – معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج ،ج ١ ، ص ٣٣٩،تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي،الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

وعلي ؟ ، فأين آدم وإبليس منهما ؟ ، وكيف يراد بالطاغوت أبي بكرٍ وعمر وعثمان ؟ وهم من خيرة أصحاب رسول الله – ﷺ – الذين أثنى الله عليهم في كتابه بقوله : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [١] وأشاد بفضلهم نبينا – ﷺ – ونهى عن سبهم ، فقال : "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ" [٢] .

ولذلك كان أهل البيت الأطهار يشيدون بفضلهم ويعلنون تبرأهم ممن يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فعن جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ لَمَّا وَدَّعْتُهُ: «أَبْلِغْ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما وَأَرْضَاهُمَا»[٣] ، وعنه أيضاً أنه قَالَ: «مَنْ لَمْ يَعْرِفْ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما فَقَدْ جَهِلَ السُّنَّةَ»[٤]، وروي عنه أيضاً أنه قال له : «يَا جَابِرُ، بَلَغَنِي أَنَّ قَوْمًا بِالْعِرَاقِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَنَا وَيَتَنَاوَلُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهمَا، وَيَزْعُمُونَ أَنِّي أَمَرْتُهُمْ بِذَلِكَ، فَأَبْلِغْهُمْ أَنِّي إِلَى اللهِ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ وُلِّيتُ لَتَقَرَّبْتُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِدِمَائِهِمْ لَا نَالَتْنِي شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، وَأَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمَا، إِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَغَافِلُونَ عَنْهُمَا»[٥].

وكيف يقال: إن المراد ببقرة بني إسرائيل عائشة ﵂ ؟ ، وهي فريةٌ باطلةٌ من الناحية العقلية والتاريخية ، فهذه الحادثة كانت في عهد سيدنا موسى – عليه السلام– فأين كانت عائشة؟ ، كما أن الخطاب فيها موجه إلى قوم سيدنا موسى – عليه السلام– وليس للباطنية الذين يحلون لأنفسهم قتل عائشة حقداً عليها ، فإن قيل أن هذا تكليفٌ للباطنية وإشارة ورمز باطني من عهد موسى وحتى وجود عائشة بضرورة قتلها ، نقول لكم : إن البقرة التي عناها القرآن أخبر أنهم ذبحوها ، فسقط بهذا استدلالكم، فضلاً عن أن هذا قد تم واقعاً عملياً في عهد موسى– عليه السلام– قبل وجود عائشة بزمن طويل ، وهل كان الرسول الكريم –ﷺ – يعلم أن الله يأمره بذبح عائشة أم لا؟ ، فإن كان يعلم ولم ينفذ فقد خالف أمر ربه ،وهذا باطل ، وإن

---

١ –سورة التوبة، الآية : (١٠٠).

٢ –أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب :أصحاب النبي ﷺ، باب: قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، (٥/٨) ، حديث رقم :(٣٦٧٣).

٣– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ،ج٣ ، ص ١٨٥، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٤– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ،ج٣ ، ص ١٨٥، مرجع سابق.

٥– المرجع السابق نفسه .

كان لا يعلم فمن أين جاءكم هذا العلم وأين دليلكم ؟ ، وأنتم تدَّعون أن هذا التأويل أفضى به رسول الله – ﷺ – إلى علي سراً [(١)].

مما سبق يتضح مدى مجافاة هذه التأويلات للواقع الدلالي للنصوص، وتعارضها مع صحيح المنقول وصريح العقول ، والتأكيد على ما ذكرناه من اعتماد الباطنية هذا المنهج وأمثاله؛ لتشكيك الناس في مصادر دينهم والطعن في أعلامهم ؛ وصولاً إلى الانسلاخ من الدين والاعتقاد السليم،وقد أكد ذلك الإمام الغزالي وهو ينتقد مذهبهم في التأويل بقوله: (وإذا انفتح الباب اطلعت على وجه حيلهم في التلبيس بنزع موجبات الألفاظ ، وتقدير الهويات بدلاً عنها، للتوصل إلى إبطـال الشـرع) [(٢)].

المطلب الثالث

مخالفة الدلالة اللغوية للألفاظ

اشترط العلماء عند تفسير آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول – ﷺ – وتأويل نصوصهما مراعاة التطابق الدلالي والمعنى الاشتقاقي والدلالة اللغوية للألفاظ ، واستيعاب مفردات اللغة العربية – التي هي لغة القرآن الكريم –لها ، واتساقها مع مدلولاتها، وانضباطها بقواعدها ، (فتُفسرالنصوص بما كان متعارفاً لدى الجيل الأول ، ويجب أن تحمل على المعروف عند العرب من الأوجه المطردة وعاداتهم وقت نزول القرآن ، وتحمل على الأكثر استعمالاً دون القليل النادر ، وعلى الأشهر فصاحة ، وعلى الأغلب بلاغة ، وعلى الأتقن رصانة ، لأن القرآن الكريم أفصح الكلام ، وأبلغ البيان ، ونزل على أتقن اللغات وأفصحها وأشهرها، والذي نزل عليه هو ﷺ –أفصح العرب فلا يعدل به عن ذلك)[(٣)].

أما أن تتجاهل دلالات اللغة ، وتخترق سياجاتها ، وتنتهك ضوابطها ، وتتسور أسوارها ويفتأت على قواعدها ؛ لتحقيق غرض أوتأييد مذهب أو إثبات قضية ،فهذا منزلق خطير يُذري بقيمة اللفظ ودلالاته النصية والمفاهيمية واللزومية ، ويفتح الباب أمام التأويلات الفاسدة ، والمفاهيم المغلوطة والاتجاهات المنحرفة لتفت في عضد الأمة وتتوغل في سوادها وتتغول على الثوابت القطعية ومقررات الإجماع ، وهو ماظهر بصورة فجة في تأويلات الباطنية التي حطمت مدلولات الألفاظ تحطيماً كاملاً ، وحرروا النصوص الدينية والأحكام الشرعية من قواعد العربية

---

١ - يراجع : الباطنية وموقف الإسلام منها ، د. جميل أبو العلا ، ص٢٥٧- ٢٥٨ بتصرف شديد.

٢ – فضائح الباطنية ، ص ٦٠-٦١.

٣ –اللغة العربية ومكانتها العلمية في فهم القرآن وتفسيره ،د. طاهر محمود مُحَّد يعقوب ، ص ٥٦، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب ، لاهور – باكستان ، العدد٢٣، ٢٠١٦م.

والضوابط اللغوية فلم يقيموا لها وزناً ولم يعتدوا بها ، لأنها لاتمثل قيمة في نظرهم بجانب تأويلات الأئمة المعصومين في زعمهم .

يقول محمد الطويل:(وهم – أي النصيرية –لا يهتمون بالقواعد اللغوية، لأن كلام الأئمة هو فوق كل شيء وهم وحدهم الذي يحق لهم تفسير القرآن) [(١)] .

ومن ثم جاءوا بتأويلات لاتراعي قواعد العربية وتفتئت عليها ، وهو ما أسوقه في الشواهد الآتية: فقد رووا في تأويل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [(٢)](عن أبي جعفر –عليه السلام– قال: أمر الله –عز وجل– رسوله بولاية علي وأنزل عليه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ ،وأورد العياشي (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ،قال: هم الأئمة عليهم السلام، وعن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لما نزلت هذه الآية بالولاية أمر رسول الله –صلى الله عليه وآله– بالدوحات دوحات غدير خم فقمت ، ثم نودي الصلاة جامعة، ثم قال: أيها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعليٌ مولاه، ربِّ والي من والاه وعادي من عاداه، ثم أمر الناس ببيعته وبايعه الناس لا يجئ أحد إلا بايعه) [(٣)].

وهذا التأويل يجافي الدلالة اللغوية للآية ، ويتناقض مع واقع اللغة ، لأنه لا يجوز لنا أن نفسر القرآن بغير اللغة التي نزل بها ، فضلاً عن مخالفة تأويلهم بأن المراد من المولى والموالاة في الآية والحديث لاتعني الوِلاية – بكسر الواو– المرادة عند الشيعة ، وإنما الوَلاية بفتحها ،"هو الأولى بالتصرف " ، كما في قولنا : ولي القاصر ، فيكون المراد يالمولى في الآية:المتصرف في الناس والقائم بأمورهم ،إلا أن حمل الولي على ما زعموه لا يناسب ما قبلها وهو "لا تتخذوا اليهود" إلخ إذ الولي فيها بمعنى الناصر جزماً ولا ما بعدها وهو من يتول الله ورسوله ...الخ إذ التولي هنا بمعنى

---

١ – تاريخ العلويين، تأليف: محمد أمين غالب الطويل،ص ١٨٩، مطبعة الترقي اللاذقية – سوريا ، ١٣٤٣هـ–١٩٢٤م.

٢ – سورة المائدة ، الآية : (٥٥).

٣ – تفسير العياشي ، لأبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، ج ١ ، ص ٣٢٨–٣٢٩، تصدى لطبعه ونشره : الحاج السيد محمود الكتابچي وأولاده صاحب المكتبة العلمية الاسلامية طهران –سوق الشيرازي .

: النصرة ، فوجب حمل ما بينهما عليها أيضاً لتتلاءم أجزاء الكلام ،ولو أراد الولاية التي هي الإمارة لقال :"إنما يتول عليكم الله ورسوله والذين آمنوا "، ولم يقل : ويتولى الله وسوله [١].

يقول الإيجي :(فكل واحد يعلم من دينه ضرورة تولي المؤمنين بعضهم لبعض ، فتعين الحمل على الأولى بالتصرف)[٢]،وهم مستندون إلى تفسير أبي عبيدة للآية : ﴿ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾[٣] ، أي أولى بكم ، وإلى حديث رسول الله ﷺ : " أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلَاهَا"[٤]، أي المالك المتصرف في أمرها [٥]، ولم يُسلِّم الحافظ ابن حجر بأن معنى المولى ما ذكروه ، وقال إن معناه: الناصر ، لأنه مشترك بين معان كالمعتق والمتصرف في الأمر ، والناصر والمحبوب ، والذي عليه جمهور الأصوليين وعلماء البيان ،"أن المولى بمعنى الإمام لم يعهد لغة وشرعاً"[٦] ، (لأن مفعل بمعنى أفعل لم يذكره أحد من أئمة العربية ، وقوله تعالى مأواكم النار هي مولاكم ،أي مقركم وما إليه مآلكم وعاقبتكم ،ولهذا قال الله تعالى: "وبئس المصير" ، وقد قيل المراد ههنا أيضاً الناصر فيكون مبالغة في نفي النصرة على طريقة قولهم الجوع زاد من لا زاد له ، والاستعمال أيضاً يدل على أن المولى ليس بمعنى الأول لجواز أن يقال :هو أولى من كذا دون مولى، وإن سُلِّم أن المولى بمعنى الأولى فأين الدليل على أن المراد الأولى بالتصرف والتدبير ؟ بل يجوز أن يراد الأولى في أمر من الأمور) [٧].

فضلاً عن (كذبهم أنها نزلت في سيدنا علي بخصوصه لما تصدق بخاتمه في الصلاة ، بإجماع أهل العلم بالنقل، وكذبه بيّن من وجوه كثيرة منها: أن قوله: "الذين "صيغة جمع، وعلي واحد، و"الواو"، ليست واو الحال، إذ لو كان كذلك لكان لا يسوغ أن يتولى إلا من أعطى الزكاة في حال الركوع، فلا يتولى سائر الصحابة والقرابة ،والكلام في سياق النهي عن موالاة

---

١ – منهاج السنة لا بن تيمية ،ج ٧ ، ص٢٨– ٢٩، مرجع سابق ، ويراجع :الباطنية وموقف الإسلام منهم ، د. جميل أبو العلا ، ص ١٣٦، مرجع سابق .

٢ – المواقف للإيجي ، ج ٣ ، ص ٦١٥، الناشر : دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.

٣ – سورة الحديد ، الآية : (١٥) .

٤ – السنن الكبرى للبيهقي ، جماع أبواب ما على الأولياء وإنكاح الآباء البكر بغير إذنها، باب : لا نكاح إلا بولي ، (٧/ ١٦٩) ،حديث رقم (١٣٦٠٠) .

٥ – الباطنية وموقف الاإسلام منهم ، د.جميل أبو العلا ، ص ١٥٣، مرجع سابق .

٦ – الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، لابن حجر العسقلاني ،عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل مُحَمَّد الخراط، ج ١ ، ص ١٥٠، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٧ – الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، لابن حجر العسقلاني ،عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل مُحَمَّد الخراط، ج ١ ، ص ١٥٠، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين، وهم يحتجون بهذه الآية على الولاية التي هي الإمارة، وإنما هي في الولاية التي هي ضد العداوة) [١].

ويؤكد الحافظ ابن حجر أنها عامة في جميع المؤمنين، بما نقل عن الحسن المثني –وناهيك به جلالة وإمامة – من أن هذه الآية عَامَّة فِي سَائِر الْمُؤمنِينَ ، وَموافقة الباقر وَهُوَ من هُوَ فقد سُئِلَ عَمَّن نزلت فِيهِ هَذِه الْآيَة أهوَ عَليّ ؟ فَقَالَ: عَليّ من الْمُؤمنِين،ويستدل الحافظ ابن حجر على عمومها بتكرار صيغة الجمع ، ومن ثم فكيف يحمل على الواحد؟ [٢].

أما لفظ المولى في الحديث الذي تدعي الباطنية أنه يعني الأولى ، أي فلعلي عليهم من الولاء ماله –ﷺ – عليهم منه بدليل قوله :"ألست أولى بكم" لا الناصر وإلا لما احتاج إلى جمعهم كذلك مع الدعاء له ،لأن ذلك يعرفه كل أحد [٣].

٢–ومن ذلك تأويل الصراط في قوله تعالى:﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[٤] بالإمام ، يقول النعمان بن حيون الباطني الإسماعيلي:(والصراط في اللغة: الطريق، فمثل الإمام ههنا بالطريق ، لأن من لزم الطريق لن يضل ، وكذلك من لزم الإمام لن يضل ، والمراد بالطريق هاهنا الإمام)[٥] .

وهذا التأويل مخالف للغة ، بعيد عن الصواب ، فالمعنى الصحيح لقوله تعالى:﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ،كما روي عن ابن عباس أنه دين الحق، ونقل عنه أنه ملة الإسلام، فكلامه يفسر بعضه بَعْضًا [٦] ؛لأن غير دين الإسلام لَيْسَ بمستقيم [٧].

٣–وفي قوله تعالى:﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ [٨]، قال: أي سهَّلنا له صعب الكلام[٩] ، والمعنى الصحيح لقول الله تعالى :﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾، أي جعلنا الحديد صالحاً لأن يطرق ويرقق[١] .

---

١ – منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لابن تيمية ، ج ٢–٣٠–٣٢، مرجع سابق .

٢ – الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، لابن حجر العسقلاني ،عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل مُحَمَّد الخراط، ج ١ ، ص ١٠٥، مرجع سابق.

٣ – الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، لابن حجر العسقلاني ،عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل مُحَمَّد الخراط، ج ١ ، ص ١٠٦.

٤ – سورة الفاتحة الآية : (٦)

٥– أساس التأويل ، القاضي النعماني التميمي، تحقيق وتقديم : عارف تامر ، ص ٦١–٦٢، مرجع سابق.

٦– التحرير والتنوير ، للطاهر بن عاشور ، ج ١ ، ص ١٩١، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ م.

٧– تفسير مقاتل بن سليمان، لأبي الحسن،تحقيق: عبد الله محمود شحاته ، ص ٣٦، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.

٨ – سورة سبأ، الآية : (١٠).

٩ – أساس التأويل للقاضي النعمان، ص ٢٥٣، مرجع سابق .

٤-وقالوا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[٢]، قال النعمان:(يعني: الأئمة السبعة من بعده من ذريته الذين ينتهي الفضل إلى السابع منهم ..وهو القائم الذي يجمع الله عز وجل أمر العباد) [٣]، وهذا التأويل فضلاً عن مخالفته لدلالات اللغة فهو مخالف أيضاً لما عليه جمهور المفسرين أن المراد بها : فَاتِحَةُ الْكِتَابِ[٤].

٦-كما أنهم فسروا ليلة القدر بأنها مثل على : فاطمة –رضي الله تعالى عنهـا –، لأن الليالي مثلٌ على الحجج ، وهي حجة مولانا[٥] ،مع أن اللفظ واضح لايحتاج إلى تأويل، فالله تعالى قد بيَّن المراد بها في الآيات اللاحقة بقوله سبحانه: ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾[٦] ،فهي ليلة من ليالي شهر رمضان اختصها الله تعالى بإنزال القرآن ، وتبدأ كسائر ليالي العام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، فضلاً عن أنه لم يرد في السنة النبوية ولا في أقوال الصحابة الذين عاصروا التنزيل ما يدل على تأويلهم هذا أو يؤيده ، وإنما هي دعاوى باطلة لادليل عليها من نقل أو عقل ، فالأمة مجمعة على أن القرآن نزل في ليلة القدر كما هو نص الآيات السابقة ، وأن ليلة القدر هي إحدى ليالي عشر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (فصارت علماً على ليلة بعينها، ووردت بمعنى هذه العلمية أحاديث عديدة ، ولقد ورد في سورة الدخان هذه الآيات: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[٧]،حيث يفيد هذا أن الله –عز وجل– قد جرت عادته على قضاء الأمور الخطيرة المحكمة في ليلة القدر، ففي كل هذا كما يتبادر لنا قرائن أو شبه قرائن على أن تسمية ليلة القدر ليست تسمية طارئة ونعتية أو تنويهية وحسب، وأنها قد كان لها في أذهان بعض الأوساط المكية خطورة ما دينية الصفة) [٨].

---

١ – مخطوطة الجمل – معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل ،ج٤، ص٢٠٨،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ،الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ – ٢٠٠٨ م.

٢ – سورة الحجر، الآية : (٨٧) .

٣ – أساس التأويل للقاضي النعمان، ص ٣٣٣، مرجع سابق.

٤ – معالم التنزيل في تفسير القرآن " تفسير البغوي" : لمحيي السنة ، أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ،ج ١ ، ص ٧٠،الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

٥ – مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية لا يجوز الاطلاع عليها إلا بإذن من له الحل والعقد "، عني بتصحيحه : ر.شتر وطمان ، المسألة السابعة ،ص ١٢٢ ، مرجع سابق.

٦ – سورة القدر، الآيات : (٣-٥) .

٧ – سورة الدخان، الآيتان: (٣-٤).

٨ –التفسير الحديث،مُحَمَّد عزت دروزة ،ج ٢، ص ١٣٦، الناشر:دار إحياء الكتب العربية – القاهرة،الطبعة: ١٣٨٣هـ.

وقال أبو يعقوب الإسماعيلي الباطني صاحب كتاب الرضاع : (اعلم أن كل ما ورد عليك من كتاب الله عز وجل من ذكر الجنات والأنهار والنخيل والأعناب والزيتون، والرمان، والتين، وجميع الشهوات وما شاكلتها ، فهو دال على الأئمة –عليهم السلام– ثم على الحجج ثم على اللواحق،ثم على الدعاة ،ثم على المستجيبين البلغ ، ثم على الأدنى من المستجيبين)[١] .

مما سبق يتضح(أن هؤلاء الباطنية خالفوا بمسلكهم ذلك قانوناً لغوياً عاماً في المجتمع الإنساني، إذ أننا نعلم ضرورة أن الأسماء وضعت للدلالة على مسمياتها فاستعمالها بلا دليل ولا برهان في غير مسمياتها سفسطة وفساد عظيم، وتخريب واضح لأساس الفكر الإنساني، وقضاء تام على التمييز بين حقائق الأشياء في الوجود، لأننا حينئذ ندفع الفاسد بالفاسد)[٢].

المطلب الرابع

تقديم التأويل على ظاهر النص

من المقرر عقلاً وشرعاً أنه لا يلجأ إلى التأويل إلا إذا تعذر فهم الدلالة الظاهرة ، بشرط أن تستوعبه اللغة فإذا صادم الدلالة الظاهرة ، وشاقق اللغة وناقض مدلولات الألفاظ النصية ، صار ضرباً من ضروب الاعتساف وصورة من صور الفساد في الرأي ، فاحترام ظاهر النص ودلالاته المفاهيمية واللغوية والسياقية ، ومن ثم الانصياع لدلالة النص الظاهرة ، والالتزام بها لاسيما في الدلالات القطعية بخلاف الدلالات الظنية ، فهي وإن كانت تفتح باب الاجتهاد المؤدي إلى التنوع الفكري وتراعي الأحوال والطبائع ، فهي واجبة في أحد وجوهها وفقاً للمرجحات الدلالية ، أما أن يقدم التأويل على ظاهر النص بحيث يصبح الظاهر باطناً والباطن ظاهراً فهو أمر ترفضه مقررات الشرع وبديهيات العقل ، فضلاً عن مخالفتها ضوابط التفكير العلمي وضوابط الاستنباط وقواعد المنهج .

(وهنا كان لابد من سؤال هل رفض التأويل الباطني يعني عدم التعمق في فهم القرآن ؛ لمعرفة أسراره وعلومه وكنوزه وحقائقه في مختلف مظاهر الوجود؟ والجواب لا ، فالتعمق في فهم القرآن لمعرفة أسراره وعلومه وكنوزه وحقائقه ضرورة ، ولكن بضوابط التفسير والاستنباط ، ولقد وضع العلماء شروطاً لهذا النوع من تفسير باطن القرآن) [٣] .

---

١ – قواعد عقائد آل محمد الباطنية ، محمد بن الحسن الديلي اليماني، تقديم العلامة : محمد زاهد الكوثري ، مراجعة : يحي حميدالدين اليماني، اعتنى بنشره: السيد عزت العطار،ص٦٢، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٦٩هـ–١٩٥٠م.

٢ –مقال الاتجاه الباطني في تفسير القرآن ، محسن عبد الحميد ،مجلة دعوة الحق ، مرجع سابق .

٣ – يراجع : الاتجاه الباطني في تفسير القرآن ، محسن عبد الحميد ، مجلة دعوة الحق ، مرجع سابق.

منها ما ذكره الإمام الغزالي في الإحياء بقوله:(ولا مطمح في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر، فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب ،أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم، وهو لا يفهم لغة الترك، فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم) [١].

ونستنتج من هذا أن الباطن – عند الإمام الغزالي وغيره من علماء المسلمين –يجب ألا يناقض الظاهر، لأن الباطن هو استكمال للظاهر ووصول إلى حقيقته وجوهره من خلاله.

ومنها أيضاً:(أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب جرياً على المقاصد الحسنة ، ومنها أن يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد بصحته من غير معارض)[٢].

لكن الباطنية لا يقيمون لهذه الضوابط وزناً فنجدهم يؤلون قوله تعالى في قصة صالح – عليه السلام: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [٣] ، بأن المراد بالناقة :" الحجة " ، **وقوله:**﴿ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [٤]، أي أنزلكم على تأويل الأساس ، وقوله :﴿ وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ﴾ [٥]، يعني : تنشئون من حد التأويل لواحقاً، وقوله:﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [٦]، لا تتعرضوا حد التأويل بالتبديل والتغيير وقوله :﴿ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ [٧]، وهي مسائل صاحب الزمان وحججه التأيدية[٨].

وتراهم يؤلون (قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾[٩]،بأن المراد بأبيه هنا :الذي أخذ عنه علم الظاهر، وأن معنى قوله:﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ

---

١ – إحياء علوم الدين ، للغزالي ، ج ١ ،ص ٢٩١، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ .
٢ – التفسير والمفسرون ، د. مُحَمَّد حسين الذهبي، ج ٢ ، ص ٢٦٥، مرجع سابق.
٣ – سورة هود، الآية : (٦٤) .
٤ – سورة الأعراف، الآية : (٧٤) .
٥ – سورة الأعراف ، الآية : (٧٤) .
٦ – سورة الأعراف ، الآية : (٧٤) .
٧ – سورة الذاريات ، الآيتان : (٤٣-٤٤) .
٨ – أساس التأويل ، النعمان، ص١٠٠.
٩ – سورة مريم ، الآية : (٤٢) .

جَآءَنِى مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِىٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾[1] ، أي جاءني من العلم الروحاني المخزون ، فاتبعني أهدك ، أي أدلك على إمام زمانك وهو الصراط السوي) (٢).

كما أنهم أولوا الذبح في قوله تعالى :﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾[3]، بأنه أخذ العهد والميثاق،فهم بذلك يقدمون التأويل على ظاهر النص ، وفي (هذا إنكار لقصة الذبح والفداء،وهو لا يتناسب مع مقام الاصطفاء والتكريم والقرب من الله ، وهل القرب منه يسمى ذبحاً ؟ وهل يقابل من يصطفيه ربه ويكرمه بأسلوب العجز والتسليم وكأنه يلقى النار، ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4]، وهل يقبل أي عقل سليم أن يسلم بهذا؟!)[5].

يقول الديلمي:(اعلم أن هذا الباطن لا يوافق الظاهر ولا يدانيه بوجه من الوجوه ولا دليل لها من الكتاب والسنة والإجماع ، فإن قالوا بالكتاب قلنا : لا نجد فيه دلالة تدل على ما اخترتموه فإنه لا يوجد فيه قط إن قول القائل ألا إله إلا الله يدل على السابق والتالي، فإن قالوا بالسنة ، قلنا : هذا لا يصح ، لأن ذلك يترتب على العلم بنبوة النبي – ﷺ – وأنتم لا تثبتون نبوته في الحقيقة كما قال صاحب البلاغ " زعيم الأمة المنكوسة ، وبعد فعندكم المعجزات لا تصح لأنها رموز وإشارات ، وبعد فإن كان كلامه – ﷺ– له باطن أيضاً لا يفيده الظاهر ، فكيف يصح الاستدلال بكلامه ؟ ، فإن احتاج إلى باطن أدى إلى ما لا نهاية له ، وإن لم يحتج إلى باطن جاز مثله في كثير من الكلام ، وبعد في ذلك الدليل الذي دل على أن كل ظاهر له باطن يخالفه ولا يلائمه بوجه من الوجوه التي يعقلها أهل اللغة العربية أو الشريعة ، فإن قالوا الطريق إلى ذلك إجماع الأمة ، قلنا : الإجماع ينقسم إلى إجماع الأمة ، وإجماع العترة ، ولا دليل عليهما إلا الكتاب والسنة ، وقد بينا أنه لا يصح الاستدلال بهما على مذهبكم ، وبعد فإنه لا يوجد فيهما ما يدل على ما قالوا من التأويلات ،بل المعلوم باضطرار من الدين أن تأويلاتهم باطلة لا صحة لشيء منها) [6].

---

١ – سورة مريم، الآية : (٤٣) .
٢ – أساس التأويل ، النعمان، ص١١٨-١١٩.
٣ – سورة الصافات ، الآية : (١٠٢) .
٤ – سورة الصافات، الآية : (١٠٢) .
٥ – الباطنية وموقف الإسلام منهم ، د.جميل أبو العلا ، ص٢٦٦.
٦ – قواعد آل بيت مُحَمَّد الباطنية ، مُحَمَّد حسن الديلمي ، ص ٧٢- ٧٣.

وبناءاً على ذلك فإنه لايجوز تأويل الآيات بما يخالف ظاهر القرآن الكريم ولا أن يقدم التأويل على ظاهر النص طالما كانت دلالته ظاهرة لا تحتاج إلى بيان ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة .

يقول الإمام الشافعي : (والقرآن على ظاهره حتى تأتي أدلة منه أو سنة أو إجماع بأنه على باطن دون ظاهر) (١).

وماصرح به الإمام الشافعي هو ما قرره آل البيت -ﷺ- لا كما تدعي الباطنية أنهم أصحاب الدعوة إلى مخالفة الظاهر بحجة اختصاصهم بعلم الباطن ومعرفة التأويل،فإذا كانت الروايات مخالفة لظاهر القرآن كذبوها ، روى الكليني في الكافي أن أبا عبد الله عليه السلام قال:" كل شئ مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف"(٢).

وقال أيضاً: " قد أمكن الكتاب أي القرآن من زمامه ، فهو قائده وإمامه ، يحل حيث حل ثقله ، وينزل حيث كان منزله ، وآخر قد تسمى عالماً وليس به قد حمل الكتاب القرآن على آرائه ، وعطف الحق على أهوائه " (٣) .

وهاتان الروايتان توضحان عقيدة سيدنا علي – ﷺ – في كتاب الله ، وأن تدخل الآراء والأهواء في كتاب الله كالقول: بأن للقرآن ظهراً وبطناً ليس من العلم في شيء ، لأن ذلك من جنس حمل القرآن على الأهواء (٤).

المطلب الخامس

العبث بالمفاهيم الدلالية القطعية للنصوص والظواهر اللفظية

من المقرر عقلاً وشرعاً وجوب الالتزام بدلالة النص الظاهرة والانصياع للقطعيات منها ، ومخالفة ذلك تمثل خطراً على مصادر الدين ؛ لأنها تفتح الباب أمام المغرضين للعبث بأصول الدين وثوابته ، وأسسه ومبادئه ، وقواعد الشريعة وأحكامها ، ومقاصدها وغاياتها ،والذي يطالع

---

١ – الرسالة للشافعي ، تحقيق: أحمد شاكر، ص ٥٨٠، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر ،الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

٢ – الأصول من الكافي لأبي جعفر مُحَمَّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، ج١ ، ص ٦٩، الناشر: دار الكتب الاسلامية مرتضى آخوندي تهران – بازار سلطاني ، الطبعة الثالثة (١٣٨٨).

٣ – نهج البلاغة وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرح الأستاذ الإمام الشيخ مُحَمَّد عبدة مفتي الديار المصرية سابقاً، ج١، ص ١٥٣، الناشر:دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان،بدون تاريخ.

٤ – التناقضات العقدية لدى الشيعة الاثنى عشرية في القرآن الكريم ، إعداد. أنور عبد ربه الغوطي ، إشراف :أ.د . محمود يوسف مُحَمَّد الشوبكي ، ص ١١٤، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية بغزة ، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

الفكر الباطني يجد أن العبث بالمفاهيم الدينية الثابتة أحد القواعد المنهجية التي يقوم عليها التأويل الباطني عندهم،والتي خالفوا فيها الثوابت الدينية،والنصوص القطعية ، والدلالات المفاهيمية التي استقرت في الأذهان ، والعقول وتلقتها الأمة بالقبول بغية ترسيخ مفاهيم تخدم أغراضهم وتحقق مقاصدهم ، وتدعم مذهبهم ، والحجة في ذلك أن هذه المفاهيم ليست على ظاهرها ، وإنما لها تأويلات باطنة هي المرادة ولا شيء غيرها ، وتكمن خطورة هذه القاعدة في اعتمادها على عدة أمور :

(أولها: إقصاء الدلالات الصحيحة المجمع عليها عند الأثبات الراسخين من أهل العلم ، والتي تلقتها الأمة بالرضا والقبول .

ثانياً: الانتقاء الدلالي لما يتوهمون أنه يدعمهم في ترسيخ مفاهيمهم الغالبة للمصطلحات الشرعية والفكرية ، وهذا نزوع سلبي في البناء الفكري ، لأنه يُضفي على المصطلحات دلالات قد تكون بعيدة عن اللفظية ومقاصده الدلالية .

ثالثاً: بتر المفاهيم الدلالية وتطويعها للاستدلال على صحة مفاهيمهم الدينية والفكرية الغالية ، وهذه عملية شديدة الارتباط بالاختزال والاقتصاد والبتر .

رابعاً: الفرض المعرفي : وهو محاولاتهم المغرضة لفرض مفاهيم جديدة على المصطلح وتنكره دلالاته الاشتقاقية والدينية ، وتمثل هذه المحاولة البغيضة المقصد والغاية من عملية الاختزال المفاهيمي للمصطلح الديني الشرعي والفكر الثقافي) [1].

وفيما يلي أعرض بعض التأويلات التي عبثت فيها الباطنية بالكثير من المفاهيم الدينية والشرعية التي استقرت عليها الأمة وتلقتها بالقبول وأجمع عليها العلماء بما يخرجها عن مفهومها ، ويفوت المقصود منها ، ويحقق هدفهم في إبطال الشرائع وصولاً للا نسلاخ من الدين بالكلية ، ومن ذلك:

١–أن الطهارة عندهم هي: التطهر بالعلم ، وما يوجبه العلم من أحداث النفوس[2].

٢–والصلاة معناها: موالاة إمامهم [3]، ومن ثم يجوز للمدعو أن يدفع النجوى للداعي فيطرحها عنه الإمام ، (يقول اليماني : " يقول الداعي للإمام يامولانا إن عبدك فلان قد عرف الصلاة ومعانيها ،فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الإصر ، وهذه نجواه اثنا عشر ديناراً ، فيقول الإمام:

---

١ – إشكاليات الطرح الديني لدى الجماعات المتطرفة وأثرها على المفاهيم بالبنائية للدول والأوطان ، د. أحمد إسماعيل أبوشنب،ص ٦ ، أبحاث المؤتمر العام الثلاثين للمجلس الأعلى للئون الإسلامية ، مصر، ١٤٤١هـ–٢٠١٩م.

٢ – تأويل الدعائم ، النعمان ، ص ٧٢.

٣ – تأويل الدعائم ، النعمان ، ص ١٦٢.

اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [(١)] ، فعند ذلك يقبل عليه أهل هذه الدعوة ويهنئونه ويقولون : الحمد لله الذي وضع عنك وزرك ، الذي أنقض ظهرك) (٢).

٣–والصوم مثل الكتمان[(٣)] وهو : الإمساك عن كشف السر ، وعدم إفشاء أسرار الدعوة المكتومة [(٤)] ، ويفسرون قوله تعالى :﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [(٥)] ، بأنه كتمان سرالأئمة في وقت استتارهم خوفاً من الظالمين ، ويتأولون قوله تعالى :﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [(٦)]، بالإمساك عن إفشاء سر الإمام دون الإمساك عن الطعام والشراب ، إذ لو كان عني الطعام لقال : فلن أطعم اليوم شيئاً ، فدل على أن معنى الصيام الصمت [(٧)].

٤–والحج عندهم هو الوصول إلى معرفة صاحب الزمان ، وَ زيارته وادمان خدمته [(٨)] .

٥–والخمر عندهم وما جانسها من الأشربة المسكرة التي تسلب العقول ، مثلها مثل العلوم الغامضة التي لا يحتملها ولا يعقل حقائقها من سمعها ممن لم يبلغ حدودها [(٩)] ، يل إنهم (يتأولون معنى الخمر والميسر اللذين نهى الله عنهما بأبي بكر وعمر لمخالفتهما علياً ، وأخذهما الخلافة دونه، وأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة وغير ذلك فليس بحرام ؛ لأنه مما تنبت الأرض متأولين قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [(١٠)]) [(١١)]

إلى غير ذلك من التأويلات التي لا تتفق مع أصول الإسلام وقطعيات دلالالته ، وما عُلم من الدين بالضرورة وتلقته الأمة بالقبول من التكاليف الشرعية والعبادات العملية ، ولاشك أن منهجاً يقوم على مثل هذا العبث المفاهيمي بالنصوص القطعية في ثبوتها ودلالاتها يؤصل

---

١ – سورة الأعراف ، الآية : (١٥٧) .

٢ – كشف أسرار الباطنية ، ص ٢٤–٢٥.

٣ – تأويل الدعائم ، النعمان ، ص ٢٧٩

٤ – يراجع :فضائح الباطنية ، للغزالي ، ص٢٧.

٥ – سورة البقرة ، الآية : (١٨٥) .

٦ – سورة مريم ، الآية : (٢٦) .

٧ – كشف أسرار الباطنية ، ص ٢٦، والباطنية وموقف الإسلام منهم ، ص ٣١٤– ٣١٥.

٨– الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص٢٨٠.

٩– تأويل الدعائم ، للنعمان ، ص ٣٣.

١٠– سورة المائدة ، الآية (٩٣).

١١–يراجع : كشف أسرار الباطنية ، لحماد واليماني ص ٢٥–٢٦.

لمفاهيم مغلوطة تتعارض مع صحيح المنقول وصريح العقول وبدهيات الفكر ومقررات الشريعة ومقاصدها وإجماع الأمة ، وتتوافق مع مذهبهم وأفكارهم وتخدم توجهاتهم ومقاصدهم في إسقاط التكاليف والتحلل من الشرائع .

يقول الدكتور جميل أبو العلا:(فمن أين عرفوا هذه الخرافات ؟، وإذا كان علي –رضي الله عنه– لم يؤثر عنه شيء مما تدعيه الباطنية ، فأين دليلكم على أن الطهارة تكون بالعلم لا بالماء ؟ وأن الصلاة في الحقيقة هي صلة الإمام؟ وأن الحج هو زيارة الإمام ؟ وأن الصوم كتمان سره؟ ..الخ ، وإذا كانت هذه الأشياء مما يجب على الأتباع نحو الإمام فمن باب أولى هي لاتجب على الإمام ؛لأنها في زعمكم شرعت من أجله ، فكيف يزورُ نفسه؟ ، فعلي – رضي الله عنه –كان يحرص كل الحرص على آداء الفرائض وأنتم تحيلونها إلى رموز من أجله ، فلماذا كلَّف نفسه التعب والنصب ؟ وهل كان يعلم أن العبادات رموز ثم كلف نفسه التعب ؟ أم كان لا يعلم ؟ فإن كان يعلم أنها رموز ثم خالف وسار على نهج مُحَمَّد – ﷺ – فهو آثم ، وأنتم لاتقولون بهذا ، ونحن معكم لا نقول بهذا ، وإن كان لا يعلم ، وسار على نهج مُحَمَّد – ﷺ – لأنه لا يعرف من دينه سواه فهو محق في سيره ولم يفعل أكثر مما كلفه به ربه كمسلم ، وأما هذه البدع وتلك التأويلات التي تدَّعونها ، فهو لا يعرف شيئاً وهذا الواقع الذي أثبته البحث وكشف عنه سجل النور االذي سطره علي – رضي الله عنه– بأعماله وأمجاده وحرصه على الدين ، ومن ثم فهو بريء مما تدعيه الباطنية) [١].

المطلب السادس

خرق مقررات الإ جماع [٢]

يعتبر الإجماع ثالث مصادر التشريع المتفق عليها في الإسلام ومن ثم فإن مقرراته ملزمة للمسلمين واجبة الاتباع ، والأصل في الإجماع قول الله تعالى:﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓا۟ أَن يَجۡعَلُوهُ

١– الباطنية وموقف الإسلام منهم ، د. جميل أبو العلا ، ص ٣٣٣ –٣٣٤.

٢– الإجماع في اللغة يطلق على معنيين هما :–أولاً : العزم والتصميم على الشيء ، يقال: أجمع فلان على كذا إذا عزم وصمم عليه ، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓا۟ أَن يَجۡعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ ﴾ ، سورة يوسف ، (١٥) ، أي عزموا أن يجعلوه .

ثانياً : الاتفاق ، يقال : أجمعت الجماعة على كذا إذا اتفقوا عليه.

(ب) الإجماع في الاصطلاح: هو" اتفاق مجتهدي أمة مُحَمَّد –ﷺ – بعد وفاته في عصر من الأعصار على أمر من الأمور".إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بنى عبد الله الشوكاني ،تحقيق :أحمد عزو عناية ،ج١،ص ١٩٣ ، دار الكتاب العربي ،ط أولى ، ١٤١٩هـ –١٩٩٩م ،والمحصول ، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي ، تحقيق : د. طه جابر فياض علواني ،ج ٤، ص ٢٠ ،مؤسسة الرسالة ،ط ثالثة ، ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.

فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [٢]، وقول رسول الله مُحَمَّد ﷺ : «إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ»[٣]، ومن ثم فإن خرق الإجماع يؤدي إلى انقسام الأمة ، فضلاً عن الوقوع في التناقض الدلالي والتضارب في التفسيرات ، والاضطراب في الفتوى والتأثير سلباً على القناعات الفكرية والعقلية ، والثورة على الثوابت القطعية والاستقرار الفكري و الفقهي ، وإجماع أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين والمفسرين.

والذي يطالع التأويلات الباطنية يجد أن كثيراً منها قد صيغ لإثبات قضايا تخرق إجماع الأمة واتفاق العلماء، وسأكتفي بإيراد نموذجين :

الأول :تأويل آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتدليل على ادعائهم النص على إمامة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه – والأئمة من بعده.

الثاني: تأويل الآيات التي نصت على ختم النبوة برسول الله ﷺ.

أما الأول : فقد ادعت الباطنية أن الله تعالى نص في آيات القرآن الكريم على إمامة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– والأئمة من بعده ، وكذلك نص الرسول –ﷺ –على إمامته فيما ورد عنه من أحاديث في السنة النبوية المطهرة ، ولذلك حاولوا تأويل هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، ومنها : قوله تعالى﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾.[٤]أورد العياشي (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ،،قال: هم الأئمة عليهم السلام، وعن صفوان الجمال قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لما نزلت هذه الآية بالولايةأمر رسول الله –صلى الله عليه وآله– بالدوحات دوحات غدير خم فقمت ، ثم نودي الصلاة جامعة، ثم قال: أيها الناس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، رب وال من والاه وعاد من عاداه، ثم أمر الناس ببيعته وبايعه الناس لا يجئ أحد إلا بايعه) [٥].

١- سورة البقرة ، الآية : (١٤٣).

٢- سورة النساء ، الآية : (٥٩) .

٣ - أخرجه ابن ماجة في سننه، باب السواد الأعظم ، (١٣٠٣/٢) ، ح (٣٩٥٠).

٤ – سورة المائدة ، الآية : (٥٥).

٥ – تفسير العياشي ، لأبي النظر مُحَمَّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، ج ١ ، ص ٣٢٨-٣٢٩، مرجع سابق.

–وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (١) ،قال النعمان : (إياي عني بهذا والسابق منا الإمام والمقتصد العارف بحق الإمام ، والظالم لنفسه الشاك الواقف منا والعامة تزعم أنها هي التي عنى الله عز وجل بقوله :﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾ ولو كان كما زعموا لكانوا كلهم مصطفين ، ولكانوا كلهم في الجنة كما قال عز وجل:﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ (٢)) (٣).

–ومنها قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (٤) ،قال نحن الصادقون وإيانا عني بهذا .–وقوله تعالى:﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾(٥) ، قال الكليني قال أبو عبدالله :"هم الأئمة عليهم السلام"(٦) .

–وقوله ﷺ :«مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» (٧).

وبالنظر إلى هذه التأويلات التي استند إليها الشيعة في النص على إمامة سيدنا علي – رضي الله عنه –(نجد أن في بعضها ما يشير إلى فضل سيدنا علي – رضي الله عنه – ، وقد يكون هناك اتفاق بين أهل السنة مع الشيعة في إشارة بعضها إليه – رضي الله عنه – من غير أن يكون هناك تعسف في حملها على شخصه ، لكن هل يمكن أن نعتبر الآيات السابقة مع التسليم بتأويلها الباطني نصاً جلياً وأمراً إلهياً على إمامة علي رضي الله عنه ؟)(٨)وهل فيها إشارة إلى أن الإمامة ركن من أركان الدين كما يدَّعون ؟ وهل دلت هذه الآيات على فرضيتها؟.

١– سورة فاطر الآية(٣٢).

٢– سورة فاطر ، الآية (٣٣).

٣– أدب مصر الفاطمية ، محمد كامل حسن ، ص ٢٤–٢٥.

٤– سورة التوبة ، الآية (١١٩).

٥– سورة العنكبوت ، الآية (٤٩).

٦–الأصول من الكافي ، ج ١، ٢١٤، مرجع سابق..

٧– أخرجه النسائي في السنن الكبرى ،كتاب :المناقب ، باب :مَنَاقِبُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالنِّسَاءِ،(٣٠٩/٧) ، حديث رقم (٨٠٨٩) ،تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. والترمذي في سننه ،باب مناقب علي رضي الله عنه ، (٦٣٣/٥) ، حديث رقم (٣٧١٣) ، وقال حسن غريب ، وقال الألباني : صحيح ،سنن الترمذي ،تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكروآخرون ،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م، والحاكم في المستدرك واللفظ له ، باب:ومن مناقب أمير المؤمنين بن أبي طالب ، (١١٨/٣) وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ ، وقال:هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِطُولِهِ.

٨– الباطنية وموقف الإسلام منهم، د. جميل أبو العلا ، ص١٤٦بتصرف ، مرجع سابق.

ونحن نقول إن هذه الآيات لا تشير إلى إمامة سيدنا علي – ﷺ – وليست نصاً فيها ، وليس فيها دليل على أن الإمامة ركن من أركان الدين ، أو فرض من فرائضه ،لاسيما (وأن الإمامة لم تذكر في نصوص صريحة جلية كسائر أركان الدين كالصلاة والزكاة والطهارة والصوم ، وقوانين التشريع كأحكام المواريث والقصاص ، بل إنها لم تحتل الأهمية التي احتلتها أركان الإسلام كالصلاة والصوم ونحوها)[١].

فضلاً عن (أنه لو كانت إمامة علي منصوصاً عليها نصاً جلياً باعتباره إماماً لذكر ذلك صراحةً كما ذكر أسماء الأنبياء مع أقوامهم ، لا سيما وأن علياً عندهم أفضل من الأنبياء والمرسلين ولما احتاج الأمر إلى تأويل آيات و الاستدلال بالفضل على الولاية ، لكن لا يوجد في القرآن أدنى إشارة بالإسم الصريح الواضح لأحد صحابة رسول الله –ﷺ – على الإطلاق بما فيهم سيدنا علي – ﷺ– اللهم إلا زيد بن حارثة في حالة تشريع خاص) [٢].

هذا (ولو كانت الولاية فرض كما يدعون وأن القرآن نص على علي –ﷺ – لما وسع الصحابة وأولهم على بن أبي طالب أن يتركوا العمل بهذا الفرض ويولوها لغير علي ، بل وكان عليه إثم بتركه الفرض ، وكيف لا يقاتل ولا يحارب عليها بعد وفاة الرسول –ﷺ –وهو لم يعرف عنه ضعف ولا جبن)[٣].

يقول أبو بكر بن العربي في رده عليهم:(ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى، ما رضيت الروافض في أصحاب محمدﷺ حتى حكموا عليهم بأنهم اتفقوا على الباطل)[٤].

وقد ساق الحافظ ابن حجر رواية عن سيدنا الحسن المثنى بن سيدنا الحسن سبط رسول الله – ﷺ – قال فيها مجيباً لمن سأله عن الحديث (أما والله لو عنى به القيام على الناس والإمرة لأفصح به وأفصح عنه كما أفصح عن الصلاة والزكاة ،ولقال: أيها الناس إن علياً ولي أمركم من بعدي والقائم في الناس بأمري فلا تعصوا أمره)[٥]، وهذه الشهادة من سليل بيت النبوة تُعد

١– المرجع السابق نفسه.

٢ – المرجع السابق نفسه .

٣ – المرجع السابق ، ص١٥٦– ١٥٧.

٤ – العواصم من القواصم ، ص ١٩٢، مرجع سابق.

٥ – الصواعق المحرقة ، ج ١ ، ص١١٨– ١١٩، مرجع سابق .

(أعظم دليل وأقوى حجة في الرد على مزاعم الباطنية ، وشهادة واضحة ببراءة آل البيت من مثل هذه التأويلات وعدم رضاهم عنها ، بل وإعلان بطلانها وانطوائها على الكذب) [١].

لكن الباطنية كعادتها في خرق اتفاق العلماء وإجماع الأمة تصر على أن النبي –صلى الله عليه وسلم –نص على إمامة علي ، وتعتبرها ركناً من أركان الدين ، وفرضاً من فرائضه ، مع أن الأمة أجمعت على أن النبي – ﷺ – ما نص على إمامة أحد من بعده حسبما ذكر أبو بكر العربي في العواصم من القواصم مؤيداً ذلك بما روي عن عبد الله بن عباس وأيدته رواية الحسن المثنى من أن النبي –ﷺ– لم يوص في مرضه الأخير لأحد من الصحابة وعلى رأسهم سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ [٢].

وبذلك يتضح كذب الباطنية في ادعائهم النص على إمامة سيدنا علي –ﷺ– وخرقهم لاتفاق العلماء وإجماع الأمة.

وأما الثاني : فهو تأويل الباطنية للآيات التي نصت على ختم النبوة برسول الله– ﷺ– فالبهائيون أولوا قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(٣)، بمعنى خاتم النبوة ،أي زينتهم وحليتهم التي يتحلون بها أو المقصود ختم النبوة لا الرسالة ، وأن الآية في ختم النبوة لا الرسالة والبهاء رسول وليس نبي [٤].

والقاديانية أنكروا ختم النبوة ، وقالوا : إن معنى خاتم النبيين في قوله تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(٥)،(الأفضل، أي أنه ﷺ أفضل النبيين ، والخاتم ، أي أن إتمام كمالات النبوة بمحمد –ﷺ–، وأن المراد بالنبيين : أنبياء ذوي شريعة مستقلة، أي أن مُحَمَّداً –ﷺ –خاتم النبيين الذين جاءوا بشريعة مستقلة كهارون لموسى عليهما السلام) [٦]، أوبمعنى : (طابعهم ، أي أن كل نبي

---

١ – الباطنية وموقف الإسلام منهم، د. جميل أبو العلا ، ص ١٥٧.

٢ – يراجع:العواصم من القواصم ، ص ١٩٢–١٩٥، الباطنية وموقف الإسلام منهم، د. جميل أبو العلا ، ص١٥٨–١٥٩.

٣– سورة الأحزاب ، الآية: (٤٠).

٤– يراجع : البهائية وجذورها البابية ، د. عامر النجار ، ص ٧٩–٨٠، مرجع سابق.

٥– سورة الأحزاب ، الآية : (٤٠) .

٦ –القاديانية دراسة وتحليل إحسان إلهي ظهير ، ص ٢٦٩–٢٧٠، الطبعة : الثانية ،ط إدارة ترجمة السنة بباكستان ١٩٧٣م ،ويراجع : مواهب الرحمن ، مرزا غلام أحمد القادياني ،ص ٥٣–٥٤،الشركة الإسلامية المحدودة ، الطبعة الحديثة، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

يظهر الآن بعده فإن نبوته تكون مطبوعة بخاتمه ﷺ) [١]، ومن ثم فالآية ترمز إلى هذا المعنى الباطن ،واستدل القادياني على إدعائه النبوة بهذه الآية وثلاث أخر وأولها بما يتناسب ومدعاه .

ومتأمل هذه الآية لا يجد فيها أيَّ دليل على وحي أو نبوة بعد رسول الله– ﷺ– فقد أغلق باب النبوة بسيدنا مُحَمَّد–ﷺ–ومعنى ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾،أي آخرهم، فخاتم كل شيء ، أي عاقبته وآخره ، وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة ، وقضية ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويشهد لذلك ما أورده أبو حيان من أن (الجمهور قرأ وخاتم النبيين بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم ، أي جاء آخرهم) [٢].

(فالقول بأنه ﷺ زينة الأنبياء ليس بخاتمهم ، قول ساقط ، لأنه مخالف لعرف اللغة ، ولجوء صريح إلى التأويل الباطني لنص القراءتين السبعينين) [٣].

وأكد الإمام ابن كثير ذلك بقوله : (هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس) [٤]ولما كان الله تعالى قد جعل نبيه مُحَمَّداً –ﷺ– خاتم الأنبياء والرسل أجمعين ، فقد جعل رسالته عامة للبشر جميعاً قال تعالى:﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٥)، و ختم برسالته الرسالات وأكمل به الدين وأتم به النعمة على البشرية، ومن ثم فلا حاجة إلى رسول جديد بعدما أتم الله الدين الذي ارتضاه لخلقه قال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾(٦)، روي عن ابن عباس، ﷺ، قال :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وهو الإسلام، قال أخبر الله نبيه– صلى الله عليه وسلم– والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله عز وجل

---

١ – موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، ج ١٠، ص ٩٠، مرجع سابق.

٢ – البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، ج ٨ ، ص ٤٨٥، الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣ – طائفة القاديانية وتأويلاتها الباطنية لآيلت القرآن الكريم ، سامي حسن ، ص ٨٤٦، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) ، المجلد ٢٠، العدد (٣)، ٢٠٠٦م.

٤ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير : تحقيق : سامي بن مُحَمَّد سلامة ، ج٦ ،ص٤٢٨.

٥ – سورة الأعراف الآية:١٥٨.

٦ – سورة المائدة ،الآية: (٣).

فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يسخطه (١)، وقد نقل العلامة ابن حزم (اتفاق الأمة على أنه لا نبي مع مُحَمَّد –ﷺ – ولا بعده أبداً) [٢].

وبناءاً على ذلك (فهمت الأمة الإجماع من هذا اللفظ ومن قرائن أحواله عدم وجود نبي بعده أبداً وعدم رسول الله أبداً وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع) [٣] .

(فكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدعى خلافه ويقتل إن أصر) [٤]،فعن :"أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ قَالَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ قَالَ قَالَ وَلَكِنْ الْمُبَشِّرَاتُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ قَالَ رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ"[٥] ، وروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:"إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ " [٦].

مما سبق يتضح أن الباطنية اتخذت من التأويل منهجاً تخرق به مقررات الإجماع و تخالف به اتفاق العلماء ؛ لدعم مذهبها وتأييد رؤاها وتصوراتها ، وتحقق أهدافها ومقاصدها بالثورة على الأصول والثوابت وصولاً إل القضاء على الدين .

---

١ – تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج ٣ ،ص٢٦.

٢ – مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات لا بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، ص١٧٣، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٣ – الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ، وضع حواشيه: عبد الله مُحَمَّد الخليلي،ص ١٣٧،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٤ – روح المعاني للآلوسي ، تحقيق:علي عبد الباري عطية، ج ١١، ص ٢١٣،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥ – مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج (٣٢٦/٢١-٣٢٧)، حديث رقم ١٣٨٢٤،تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩.

٦ – أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب : المناقب ، باب :خاتم النبيين ﷺ (١٨٦/٤) ، حديث رقم (٣٥٣٥)، ومسلم في صحيحه ،كتاب :الفضائل ، باب: ذِكْرِ كَوْنِهِ –ﷺ– خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، (١٧٩٠/٤) ، حديث رقم (٢٢٨٦) ، الناشر : دار الجيل بيروت ، دار الأفاق الجديدة . بيروت.

المطلب السابع
التدليس والدس على الأئمة

تعتبر أمانة النقل ودقة العرض وموضوعية التناول ضرورية لسلامة المنهج وضبط مسارات الاستدلال ، وصحة الرؤى والتصورات ، فضلاً عن أنها دلالات على صدق الناقلين لأدلته وموضوعاته وقضاياه ، وإن غياب الأمانة والموضوعية عن منهج النقل والتلقي يمثل خطراً على عملية الفهم والاستدلال ، وسلامة النصوص ودلالاتها وصحة النتائج ، لأنه يؤدي إلى التدليس والدس والكذب والتقول بلا سند أو دليل ، والذي يطالع تأويلات الباطنية يجد أن التدليس يمثل قاعدة منهجية يقوم عليها الفكر الباطني لاسيما في عملتي التأويل والاستدلال ،(وهو صورة من صور المكر ، ومظهر من مظاهر الخداع ، ومسلك من مسالك التضليل ، حيث يعتمد المدلِّس فيه على الاحتيال على المدلَّس عليه ،"والمدلَّس" في جوهره قولاً كان أو نصاً أو معنى لا جذور له في الواقع ، وهو قضية احتال المدلِّس فيه لتضليل الرأي، وحمل المدلَّس عليه علي التصديق به ، وزيفه قابع في ذهن المدلِّس، وهو عملية نفسية مدفوعة بدوافع مادية أو فكرية أو مذهبية تدفعها ال" أنا " المغرضة النفعية الانتهازية ، يقصد منها تزييف الوعي واغتيال الذاكرة ، وإفساد الوجدان، وتزييف الفكر والمعتقد والمذهب ، ومأخوذ في اللغة مما جاء في الظلمة [١] ، وهذا دليل على ظلامية القناعات والمعتقدات المدلَّسة) [٢]، ويترتب عليه الدس والوضع وإيهام الإجماع والتوافق مع دلالة النص وظاهر العقل والافتئات على الذات الإلهية والجناب النبوي والتقول على آل البيت والعلماء والأئمة ،وفيما يلي أسوق بعض التأويلات التي تدَّعي الباطنية كذباً وبهتاناً – لمن يدخل في باطنيتهم – نسبتها لآل بيت النبي –ﷺ _ الذين اختصوا بعلم الباطن وحق التأويل دون غيرهم ، وأن العقول عاجزة معرفة الحقيقة ، ولا سبيل لمعرفتها إلا من الأئمة الذين اختصوا بمعرفة ظاهر القرآن وباطنه.

ويصف الإمام الغزالي طريقتهم في التدليس على الناس بقوله : (إنه –أي الداعي – يقتصر في أول وهلة على ذكر قاعدة المذهب ، ويقول منار الجهل تحكيم الناس عقولهم الناقصة وآراءهم المتناقضة وإعراضهم عن الاتباع والتلقي من أصفياء الله وأئمته وأوتاد أرضه والذين هم خلفاء رسوله من بعده ، فمنهم الذي أودعه الله سره المكنون ودينه المخزون وكشف لهم بواطن

١- يراجع : لسان العرب، لابن منظور ،ج ٦ ، ص ٨٦، مادة دلس ،ومختار الصحاح ، لأبي بكر الرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَمَّد ، ص ١٠٦، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس ،ج ١، ص ١٩٨،الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٢- إشكاليات منهج الشيعة الاستدلالي ، دراسة نقدية ، د. أحمد إسماعيل أبو شنب ، ص٣٧ ، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م.

هذه الظواهروأسرار هذه الأمثلة ، وأن الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع إلى القرآن وأهل البيت، ولذلك قال عليه السلام :"لما قيل ومن أين يعرف الحق بعدك ؟ فقال: ألم أترك فيكم القرآن وعترتي " ؟ وأراد به أعقابه فهم الذين يطلعون على معاني القرآن ، ويقتصر في أول وهلة على هذا القدر ولا يفصح عن تفصيل ما يقوله الإمام..) [1]**،فهؤلاء الباطنية يكذبون علي ورسوله ، ويدلسون على آل البيت الكرام ، فقد أولوا قوله تعالى :**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [2]**، بأن الله أمر محمداً – ﷺ – بنصب علي بن أبي طالب إماماً ووصياً في ذلك اليوم ، ولكن الرسول تباطأ فأمره الله وعنَّفه ، فقام بغدير خم بولاية علي ، يقول النعمان : "ولما كبر ذلك على رسول الله نزل** قوله تعالى :﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾[3] **، والسموات مثل النطقاء ، والأرض أمثال الأسس ، يعني ما أقمنا ما أقمناه إلا بالحق، وأن الساعة آتية يعني قائم الزمان "(٤)، ولذلك كان الإمام الصادق –على حد زعمهم– يقرأ** قوله تعالى :﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [5]**، ويشير إلى صدره** [6]**،وهو علم مؤيد بروح من عند الله – على حد قولهم– ، قال تعالى:**﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [7] **،قال الإمام الصادق: " منذ نزل الوحي على النبي ما صعد إلى السماء وهو فينا"** [8]**.**

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما أورده الكليني [9] **في تأويل معنى العهد والمثاق الوارد في قول الله تعالى:**﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ

---

١ – فضائح الباطنية ، ص ٣٠.
٢ – سورة المائدة ، الآية : (٦٧) .
٣ – سورة الحجر، الآية : (٨٥) .
٤ – الباطنية وموقف الإسلام منهم ، د.جميل أبو العلا ، ص ٢٧١ .
٥ – سورة العنكبوت، الآية : (٤٩) .
٦ – نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية تحليل فلسفي للعقيدة ، د. أحمد محمود صبحي، ص ١٤٥-١٤٦، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٧ – سورة الشورى، الآية : (٥٢) .
٨ – نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ،د. أحمد محمود صبحي ، ص١٤٧،مرجع سابق .
٩ – وتفسير الكافي للكليني من أهم المصادر المعتبرة عند الشيعة ، وهو مُترع بالكثير من التأويلات الباطنية الفاسدة التي تؤكد كذبهم وتدليسهم على آل بيت سيدنا رسول الله ﷺ ، ولن يجد القاريء عناءاً في التأكد مما قلناه فيكفيه مطالعة فهرست الكتاب ليستيقن من صحة قولنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[1] ، عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[2] ، "عن داود الرّقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل :﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾: فقال: إن الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون، ثم قال لبني آدم: أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال الله للملائكة: أشهدوا. فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غدا: " إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون " يا داود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق"[3] .

والحق الذي لامرية فيه أن هذا الذي ساقه الكليني ونسبه إلى الإمام جعفر الصادق لا علاقة له بالآية الثانية التي تتحدث عن قدرة الله تعالى وهيمنته على خلقه فضلاً عن أن تكون لها علاقة بالآية الثانية التي تتحدث عن العهد الذي أخذه الله على أبناء آدم في عالم الذر(فالله تعالى أخذ الميثاق على البشرية كلها قبل أن يخلق أفرادها بتوحيده تعالى وعدم الشراك به لئلا يقولوا بعد ذلك معتذرين عن شركهم إنا كنا عن هذا غافلين عن توحيد الله ، وإنما تابعنا آباءنا على الشرك ، فقد أشركوا قبلنا وكنا ذرية من بعدهم ، وهذا العهد المذكور في الآيات يُسمى عهد الفطرة ، أي : أن الفطرة الإنسانية تُقر بتوحيد الله ، ةهكذا نرى أنه لا حديث في الآية عن الإمامة والولاية ، ولا عن أئمة الشيعة ، ولا ذكر ولا تخصيص لهؤلاء الأئمة ، لأنهم داخلون ضمن بني آدم ، ولم يقل الله للملائكة عن الأئمة : هولاء حملة ديني وعلمي ، وأمنائي في خلفي ، وهم المسؤولون – ولم يقل الله لكل بني آدم أقروا لله بالربوبية ، ولهؤلاء النفر بالولاية !!)[4] ،ونحو ذلك مما يدلس به الباطنية على أئمتهم لإثبات النص على الولاية والتدليل على تأكيدها منذ القدم لاسيما في الميثاق الذي أخذه الله على البشرية في عالم الذر ، ومما يؤكد كذب هذه

---

١ – سورة الأعراف ، الآية : (١٧٢) .
٢ – سورة هود ، الآية : (٧) .
٣ –الأصول من الكافي للكليني ، ج ١ ،١٣٢–١٣٣ بتصرف، مرجع سابق .
٤ –الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات الفرآنية في كتابه أصول الكافي الكافي ، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص ٣٩–٤٠ بتصرف ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م.

الرواية وغيرها ما ورد عن الإمام الباقر أنه قال : أيكفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا آل البيت ؟ فو الله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه ، والله ما نتقرب إلى الله – تعالى – إلا بطاعته وما معنا براءة من النار ولا والله لأحد حجة ، من كان الله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان عاصياً فهو لنا عدو ، وما تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع)[١].

وهذه الرواية معتدلة الاعتقاد متوازنة التصور متوافقة البنى لا تغالي في حب آل البيت ولا تمنحهم أوصافاً فائقة ، ولا قدرة خارقة ، ولم تدع لهم على الخلق ولاية ، ولا علماً خاصاً ولا تولية للحساب ولا اختصاصاً بأمور الدنيا والآخرة.

ومن تدليسهم تعظيمهم ظاهر الشرع ولهذا كان العهد مأخوذاً عليه كيلا يظن الموعو به ظن السوء ، ومن تدليسهم الدعاء إلى الإمام المستور ، وأنه من العترة حتى يكون أقرب إلى الاستدراج ، وهو أي الإمام من أولاد ميمون القداح وأوهموا الناس بأنه مستور لئلا يطالبهم أحد بموضعه وصفته وحيلته وأحواله [٢].

" وهذا كذب صريح على هؤلاء الأئمة الكرام، فقد كانوا – ومنهم جعفر الصادق عليه السلام– يعلنون على ملأ من الأمة البراءة منهم، وكانوا يبعثون أولياءهم إلى العراق يكذبوهم ويبينون أباطيلهم للناس[٣] .

المطلب الثامن

التأويل الرمزي للنصوص والشعائر والمفاهيم الدينية

لجأ الباطنية إلى الرمز واعتبروه أحد قواعد منهجهم في التأويل ؛ (وطبقوا هذه النظرية على كثير من الآيات القرآنية بحيث تصبح الكواكب والنجوم والنور والنار والشمس والقمر مثلما وردت في الآيات رموزاً لأئمتهم ، بدءاً بالوصي علي بن أبي طالب – عليه السلام– وحتى الإمام المستور مُحَمَّد بن إسماعيل بن جعفر– عليه السلام–وقد استخدمت الرسائل الكتابة السرية الشائعة في تلك الحقبة في كثير من المواضع لترمز بها إلى أسماء الأئمة أو أسماء لأضداد" أعداء الأئمة" أو للتستر على بعض الآراء والأفكار)[٤]، وتكمن خطورة الرمز في تعارضه مع مقررات الشريعة ودعوتها القائمة على الوضوح والبيان ، فضلاً عن أنه يؤدي إلى الغموض والإيهام ، وإيجاد مبررات للرؤى والتصورات المذهبية، واختزال المعاني في صورة يصعب فهمها إلا على من كان عليماً بها

---

١ - عقائد الإمامية ، مُحَمَّد رضا المظفر ، تقديم :حامد حنفي داود ، ص ٩٩، مطبعة بهمن قم ،إيران ، بدون تاريخ .

٢ – قواعد آل بيت مُحَمَّد الباطنية ، مُحَمَّد حسن الديلمي ، ص ٤٢.

٣ – الامام الصادق حياته وعصره وآراؤه وفقهه، الإمام . مُحَمَّد أبو زهرة ، ص ١٢٥، بدون طبعة ، بدون تاريخ.

٤– مسائل مجموعة من الحقائق العالية ، ضمن أربعة كتب إسماعيلية ، ص ٨ ، مقدمة الناشر ، مرجع سابق .

، كما أنه يعمل على تفريغ الشريعة من قيمتها ويجرد المعتقدات من مظاهر صحتها ، ويفتح باب التلبيس والتضليل والتحريف لإقصاء المعاني الدلالية الصحيحة وإلصاق المفاهيم المناقضة لدلالة الظاهر لاسيما إذا كان الرمز ترفضه اللغة وتنقضه دلالات الظاهر ، وقد اعتمد الباطنية على قاعدة الرمز في التأويل ، تمشياً مع مذهبهم القائم على السرية وكتمان التعاليم ، ومن ثم فلا يقف على ما ترمي إليه هذه الرموز والإشارات إلا من كان منتمياً إليهم وداخلاً فيهم ، ولا سيما أن كثيراً منهم كان مشتغلاً بالفلسفة وعلوم الفلك والنجوم والحساب والجُمَّل والسحر ، والسماح لأنفسهم تحت ستار أن هذه التأويلات إرث لهم لا يعرفه غيرهم أن يؤولوا آيات القرآن الكريم تأويلاً يخرج عن كونه كتاب هداية وبيان إلى رموز وإشارات لتأييد مذهبهم وإثبات عقائدهم .

ومن أمثلة هذه القاعدة عند الباطنية: قولهم إن الله سبحانه وتعالى جعل افتتاح كل صورة من صور القرآن على سبعة واثني عشر حرفاً وهي :

"بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ " ، " فبسم الله " عددها سبعة أحرف ، وهي تدل على الأئمة السبعة ، و" الرحمن الرحيم" إثني عشر حرفاً وههي تدل على الحجج الاثنى عشر [1] ، والإسلام بني في نظرهم على سبع دعائم هي: الولاية ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، ولها في الباطن تأويل : فالولاية مثل آدم ، والطهارة مثل نوح ، والصلاة مثل إبراهيم ، والزكاة مثل موسى ، والصوم مثل عيسى ، والحج مثل مُحَمَّد ﷺ ،والجهاد مثل صاحب القيامة[2].

(وأيام الأسبوع سبعة ، ثم خلق الإنسان في نفسه وجعله على سبع طبقات لتأكيد الحجة عليهم ، فلذلك قال جل ثناؤه :﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴾[3]، كما أنهم جعلوا القرآن أسباع ، والحواميم سبعة ،والنطقاء سبعة ، وأسسهم سبعة والأئمة سبعة ، وجعلوا سورة الحمدسبع آيات ، والطواف حول البيت سبعاً ، والسعي بين الصفا والمروة سبعة ، واستدلوا بالعدد سبعة للأئمة السبعة، واستدلوا بالعدد إثنى عشر للحجج ، وأولوا به قوله تعالى:﴿ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ ﴾[4])[5] ، وكذا البروج الاثنى عشر تدل على الحجج الاثنى عشر [6].

---

١ – رسالة الأسابيع ، قيس بن منصور ، ص٥٨ .
٢ – تأويل الدعائم للقاضي النعمان ، ص ٥١–٥٢.
٣ – سورة المؤمنون ، الآيات : (١٢–١٧) .
٤ – سورة المائدة ، الآية : (١٢) .
٥ – تأويل الدعائم ، النعمان ، ص ١١٥.
٦ – فضائح الباطنية للغزالي ، ص ٢٥–٢٦.

والصلاة والزكاة في قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١]رمز لمحمد وعلي ، لأنهما سبعة أحرف والمعنى : ولاية مُحَّد وعلي ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة (٢) .

إن مثل هذه الرموز لا صلة لها بظاهر هذه النصوص المؤلة فضلاً عن حقيقتها ومعناها، ولا دليل عليها من كتاب أو سنة أو إجماع ، ولا يمكن أن تكون قاطعة في الدلالة على معنى من المعاني الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة [٣].

يقول الديلمي منتقداً تأويلات الباطنية الرمزية :(إنكم بتأويلاتكم للعبادة الواجبة وغيرها قد أبطلتم موضعها وذلك إنا قد علمنا ضروروة من الدين أنها واجبة ، وأن تاركها يستحق الذنب العظيم والعقاب الأليم ، ثم يقال : من أين لكم أن ما قلتموه من التأويلات أولى من خلافها ؟ لأنكم لم تراعوا المطابقة بين ظاهر الخطاب والمعنى ، فلا تكونوا بحمل الخطاب على معنى معين أولى من أن يحمله خصمكم على نقيض ذلك المعني ولا سيما وقد روي أن أئمتكم من التأويلات السبعة والسبعين والسبعمائة للفظ الواحد ، فيجوز أن يحمل على سبعة آلاف وأكثر ويكون كلها مخالفة لما أخذتموه ، ويقضي ببطلان مذهبكم أيضاً) [٤].

وأهل السنة والجماعة يرفضون التعامل مع كتاب الله تعالى وسنة رسوله – ﷺ – بهذه الطريقة الرمزية التي تعتمد على الألغاز والرموز والإيهام ؛ لأنها تتنافى مع أصول الإسلام ومقاصد شريعته وكتابه ، فالقرآن لا يعتمد على الرمزية والدلالات الغامضة فضلاً عن علم الحروف والجُمَّل والأعداد بوصفه كتاب هداية وإرشاد ، وإيضاح وبيان وعلم وتعليم ، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٥) ، قو له تعالى :﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [٦]، والقرآن الكريم يؤكد في مواضع كثيرة اعتماد هذه الطريقة في نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ

---

١ – سورة البقرة ، الآية : (٤٣) .

٢ – يراجع : كشف أسرار الباطنية ،الحماد اليماني ، ص٢٤، والباطنية وموقف الإسلام منهم ، د.جميل أبو العلا ، ص ٣١٠-٣١١.

٣– الإمام الصادق ، حياته وعصره وآراؤه الفقهية ، الإمام مُحَّد أبو زهرة ، ص٣١٠ ، مرجع سابق.

٤ – قواعد آل بيت مُحَّد الباطنية ، مُحَّد حسن الديلمي ، ص ٧٢– ٧٣.

٥– سورة إبراهيم ، الآية : (٤).

٦– سورة الجمعة ، الآية (٢).

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [١]، وقوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [٢].

(كما أن الرسول– ﷺ – لم يؤمر بتبليغ علوم غامضة سرية كانت أو رمزية ، ولم يفعل إلا ما أمره الله تعالى به ، وإذا كان ذلك كذلك ، وأنه ﷺ لم يؤمر بهذه الرموز ولم يكلفه الله بها ، بل هي للباطنية خاصة من دون الناس ، فنحن كذلك لا ندين ولا نصدق ولا نعمل إلا ما جاء به ، ولا نكلف أنفسنا بشيء لم يفعله – ﷺ– أو تكلفه السماء به) [٣].

وبذلك يتضح فساد مذهب الباطنية في اعتماد الرمز منهجاً وأساساً لتأويل آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم ، وأحكام الدين ، لأنه منهج يناقض أصول الإسلام ومقاصد شريعته في الإيضاح والبيان .

١- سورة المائدة ، الآيتان (١٥-١٦).

٢- سورة فصلت، الآيتان(٣-٤).

٣ - يراجع : الباطنية وموقف الإسلام منهم ، د. جميل أبو العلا ، ص ٣٣٦ .

المبحث الثاني
خصائص التأويل الباطني[١]

توطئة :

مما لاشك فيه أن (دراسة خصائص الظواهر الفكرية والمناهج العلمية والدعوية أثرها الكبير في فهم طبيعة الظاهرة والمنهج لأنها تمدنا بانطباعات صادقة ، وتصورات معرفية دقيقة ورؤى علمية منضبطة توضح سمات كل منهما أو خصائص التي ينفرد بها ، وتصير علماً عليه تميزه عن غيره ، كما تعين الدارسين والقراء على إمكانية الحكم عليها إدراك واع ، ورؤية دقيقة وصائبة ولا ينفي ما لغياب هذه الدراسة من خطورة على معرفة مفاهيمها وإدراك طبيعتها واستكناه مقاصدها مما يؤدي إلى عدم القدرة على نقدها وتقييمها وتصحيح مساراتها ، إذ الخصائص هي المرايا التي تعكس صورة الظواهر الفكرية والمنهجية أو هي "منظار" فائق القدرة لإدراك جواهر الأشياء وتحديد أطرها وهياكلها ووظائفها وآلاتها)[٢] ، هذا وقد اختص التأويل الباطني بخصائص اعتمدت غلى تحريف القرآن الكريم والادعاء بأن اه باطناً لا يعلمه إلا الأئمة الأخيار من آل بيت النبي – ﷺ – وذريتهم والقائمين مقامهم ، وفي المطالب الآتية أسوق بعضاً من هذه الخصائص .

المطلب الأول
اختصاص الأئمة بالعلم الباطني

زعمت الباطنية أن الله تعالى خص أئمتهم بالعلم الباطن من دون الناس فقالوا :إن التفسير الباطن من عند الله خص به علياً بن أبي طالب –رضي الله عنه– وأن رسول الله –ﷺ– لم يكن يعلم هذا العلم الباطن [٣]، ويسندون إلى الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه «إنا نتكلم في الكلمة سبعة أوجه، فقال الرجل متفكراً سبعة يا ابن رسول الله؟ فقال: نعم وسبعين ، ولو استزادنا لزدناه»[٤].

---

١ – الخصائصُ: جمع خصيصة ، وهي : صفة تميِّز الشَّيء عن غيره وتحدِّده.يراجع : معجم اللغة العربية المعاصرة، د .أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون ، ج ١، ص ٦٥٢، مرجع سابق . ومرادد الباحث : " مجموعة الصفات التي اختص بها التأويل الباطني وصارت علامة له يتميز بها عن غيره ".

٢– مناهج الدعوة " المفاهيم والإشكاليات والخصائص والمقاصد والأنواع " تأصيل وتحليل ، د.أحمد إسماعيل أبو شنب، ص ٣٣–٣٤ بتصرف ، بدون طبعة ، ١٤٣٧هـ –٢٠١٦م.

٣ – يراجع: أساس التأويل للنعمان، مقدمة المحقق ،ص ٧، مرجع سابق.

٤ – أساس التأويل ، النعمان ، ص ٢٧.

ومن ثم رفضوا الأخذ بالرأي أو القياس ، وقالوا بالرجوع إلى الأئمة المعصومين من آل البيت ؛ لأن الله تعالى خصهم دون سائر البشر بعلوم باطنية ، ولذا أوجبوا الأخذ عنهم ،وأورد النعمان قولاً يُنسب إلى ﷺ :(تعلموا من عالم أهل بيتي يعني الإمام ، وممن تعلم من عالم أهل بيتي يعني حجة الإمام تنجوا من النار)[١] . .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال:"نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحي الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض "[٢]،

وعن الإمام الصادق قوله: "الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها، ولولاهم ما عرف الله عز وجل، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه" [٣]، وقوله أيضاً: " أما والله لا يصيب العلم إلا من أهل البيت نزل عليهم جبريل عليه السلام " [٤].

فهم يعتقدون (أن العلم الظاهر هو معجزة الرسول –ﷺ –، والباطن معجزة الأئمة من أهل بيته لايوجد إلا عندهم ، ولايستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير مُحَّد –ﷺ–ولا أن يأتي بباطنه غير الأئمة من ذريته، وهو علم متوافر بينهم مستودع فيهم ، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون ، ويعطون أهل كل حد ما يستحقون ، ويمنعون منه من يجب منعه)[٥]،وقد أدى بهم هذا الاعتقاد إلى الاتجاه الباطني في تفسير القرآن الكريم لأنهم (يعتقدون أن الأصالة في التفسير الصحيح للقرآن الكريم منحصرة في الأئمة المعصومين دون سواهم ، لأن تفاسير بقية العلماء فيها احتمال الغلط وعدم الإصابة) [٦].

أوَّلوا المراد من الإمام في قوله تعالى:﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [٧]، بأنه علي ﷺ، وقوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [٨]،أي : تفجر العلم من حدود الباطنية ، أي النقباء الاثنا عشر الذين هم أساس العلم الباطني [٩].

---

١ – تأويل الدعائم للنعمان ، ص ٧١ .

٢ – أصول الكافي للكليني ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، ج١،ص١٩٢،مرجع سابق.

٣ – أهل البيت في الكتاب والسنة ،مُحَّد الريشهري ، تحقيق: مؤسسة دار الحديث الثقافية ، ص ١٥٨،دار الحديث – قم ، الطبعة : الثانية ،١٣٧٥.

٤ – أصول الكافي للكليني ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، ج١،ص ٤٠٠ ،مرجع سابق.

٥ – الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د. مُحَّد أحمد الخطيب ، ص٥٣، مرجع سابق ،وأساس التأويل للنعمان، ص ٣١-٣٢ .

٦ – يراجع : تاريخ العلويين ، د.مُحَّد أمين غالب الطويل، ص١٧٥،مرجع سابق.

٧ – سورة يس ، الآية : (١٢)

٨ – سورة القمر، الآية : (١٢) .

٩ – أساس التأويل للنعمان ، ص ٩٢ .

ولا شك أن المقصود بالآية غير ما ذكروا فمعنى قوله تعالى: وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ، أي في كتاب ، وسمى الله تعالى هذا الكتاب إماماً،لأن الملائكة يتبعونه فما كتب فيه من أجل ورزق وإحياء وإماتة اتبعوه وقيل هو اللوح المحفوظ(١).

وبعد هذا العرض نستطيع أن نقرر(أن دعوى عصمة الأئمة وضرورة الأخذ عنهم لاختصاصهم بالعلم اللدني لم يقم عليها دليل ، ولهذا فإن أهل السنة يرفضون مبدأ عصمة الأئمة، ومبدأ ضرورة الأخذ عنهم دفاعاً عن الإسلام ، وحفظاً لنصوصه من التشويه بالتأويلات الفاسدة، بالإضافة إلى أن ديننا قد اكتمل ولاحاجة بنا إلى إمام يعيد لنا دور النبوة من جديد ، لأن النبوة قد ختمت بسيدنا مُحَمَّد ﷺ) (٢).

ويؤكد ذلك ماروي عن سيدنا علي –رضي الله عنه– وقد سئل : هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي القُرْآنِ؟ وَقَالَ مَرَّةً: مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ؟ فنفى ذلك نفياً قاطعاً ، وَقَالَ: «وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي القُرْآنِ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ» قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «العَقْلُ، وَفِكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» (٣).

ونستخلص من ذلك أن الإمام علياً –رضي الله عنه– الذي يمثل عند الباطنية وصي رسول الله –ﷺ– وإمام الأئمة لاشيء عنده مما ليس في القرآن الكريم ، وأنه لا فرق بينه وبين آحاد المسلمين في ذلك ، فالأولى بأبنائه وذريته أن يساووه في ذلك وأنهم لا يعلمون إلا ما بيَّنه الرسول مما هو ظاهر التنزيل الذي لا يعلمه إلا بوحي من الله .

يقول الإمام الطبري:(إن مما أنزل الله من القرآن ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول –صلى الله عليه– وسلم وذلك تفصيل، وهو ظاهر التنزيل، ولا يعلمه الرسول إلا بوحي الله، ومنه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك مما هو من أمور استأثر الله بعلمها كوقت قيام الساعة، والنفخ في الصور، ومنه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان العربي الذي نزل به القرآن)(٤) .

ويستشهد الإمام ابن تيمية على ذلك : (بأن ابن عباس نقل من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة، ليس في شيء منها عن علي، ويروي ابن عباس عن غير واحد من الصحابة،

---

١ – مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين الرازي ، ج ٢٦، ص ٢٥٩، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٢ –الباطنية وموقف الإسلام منهم ، د.جميل أبو العلا ، ص ٢٠٥.

٣ – صحيح البخاري ، كتاب : الديات ، باب: العاقلة ،(١١/٩)، حديث رقم (٦٩٠٣).

٤ – جامع البيان للطبري ، تحقيق: أحمد شاكر ، ج١ ، ص ٧٤.

يروي عن أبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وعن أُبي، وأسامة بن زيد، وغير واحد من المهاجرين والأنصار، وروايته عن علي قليلة جداً، وكذلك كتب التفاسير) [(١)] .

مما سبق يتضح أن اختصاص الأئمة بعلم باطن القرآن الكريم وتأويله دعوى روج لها الباطنية، وهو ما نفاه سيدنا علي – ﷺ – ولم يرضه الأئمة الأطهار، كما أن عصمة الأئمة وراءها أهداف وغايات منها تحريف القرآن الكريم وصولاً إلى القضاء على شعائر الإسلام.

المطلب الثاني

خصوصية العقائد وسرية التعاليم

الباطنية شأنها شأن الفرق والحركات التي تعتمد العمل السري (وبسبب السرية التي يؤمنون بها والقول بالباطن ، جعلوا للمستجيب عهداً [(٢)] يقوله عند دخول الدعوة ، يقسم فيه بالأيمان المغلظة على كتمان السر ، والعهود مؤكدة على عدم البوح به، ولا يجسر المخالفة لها، ويكون هذا العهد أمام جماعة منهم ، وله مراسم وطقوس معينة ، كما هو الحال في جميع الحركات الباطنية) [(٣)].

---

١ – منهاج السنة النبوية ،ج ٨، ص٤٢، مرجع سابق.

٢ – ونص العهد كما يلي :يقرأ النقيب بعد جلوس كما يجلس في الصلاة :" بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ النحل (٩١) ،ثم يحلف المريد فيقول : " أقسم بالله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الجبار القهار الطالب الغالب عالم الغيب الشهادة والنقص والذيادة ، القائم على كل نفس بما كسبت ، القوي الشديد الآخذ لها بما ظهرت وأضمرت ، العليم بما في الضمائر الخبير بمكنون السرائر الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا تفوته غوامض الأشياء ، الذي من أقسم به كاذباً واستشهده باطناً استحق الخزي والخذلان ، وحلَّ في مقام السخط والهوان ، وأقسم به ثانياً وثالثاً ورابعاً كما أقسمت به أولاً ، وأقسم به وبجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وأشهد ملائكته المقربين وأرواح أنبيائه المرسلين ونفوس الصادقين والصالحين من عباده العارفين ، أنني طالب وراغب المذهب الإسماعيلي من خالص اعتقادي وصميم فؤادي اعتقاداً لا يشوب باطنه الدنس ولا الشك ولا الريب ولا الشبهة في الإيمان ، وليس لي قصد في هذه الرغبة إلا تحقيق أمر الدين ، وطلب معرفة حقيقة اليقين وتصحيح الاعتقاد والدخول مع الفرقة الناجية من الطغيان والفساد ، ومعرفة مولانا صاحب الوقت وإمام الزمان ، وإني إذا فهمت منه أمراً وعرفت منه سراً أكتمه وأخفيه عن من لا يعتقد معتقدي ، ولا أظهره لأحد من الخلائق بقول ولا بنية ولا إشارة ولا عبارة ، ولا تكتبه يداي ولا ينطق به لساني ، وإن أضمرت خلاف ما أنطق به أو كنيت أو نمين أو تخيلت أو تفكرت أو توهمت أكون كافراً بالله وبرسله وأوليائه وملائكته وكتبه ، وأكون محارباً لهم ومنكراً أمرهم ومخالفاً قولهم وذابحهم وشارب دمائهم وبريئاً منهم في الدنيا والآخرة ، وخارجاً من دين الإسلام والإيمان والمروءة والفتوة ، والله على على ما نقول شهيد " . يراجع : رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ، للداعي شمس الدين بن أحمد بن يعقوب الطيبي ، ضمن أربع رسائل إسماعيلية ، تحقيق : عارف تامر ،ص ٧٣-٧٤، مرجع سابق .

٣ – الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، د. مُحَّد أحمد الخطيب ،ص ١٢٨بتصرف ، مرجع سابق.

ويؤكد الدكتور الخطيب وجه الشبه القائم بين أساليب الباطنية والماسونية في العصر الحديث ، فيقول : (والمطلع على أساليب الماسونية في العصر الحاضر وطرق الدخول فيها ، والتكريس الذي تمارسه على الداخل .. يستطيع أن يقارن بين أساليب الباطنية عموماً – وبالأخص الإسماعيلية – وأساليب التكريس الماسوني ، بحيث لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا: إن هناك خيطاً رفيعاً يجمع بين الباطنية والماسونية ، يمكن أن نرده إلى اليهودية العالمية التي استطاعت أن توجد الباطنية وفرقها في القديم ، والماسونية العالمية ومؤسساتها في العصر الحديث)[١].

والدعاة الإسماعيليون كانوا حريصين في كتبهم على إخفاء تأويلاتهم التي هي حقيقة مذهبهم ،حتى يستطيعوا أن يحركوا قواهم عبر الدعاية الخفية المستترة ، فكثرت أسرارهم التي لا يجوز البوح بها للآخرين ؛ ليوهموا الناس أنها مقدسة !! [٢].

ونسبوا إلى الإمام جعفر الصادق التأكيد على وجوب السرية والكتمان من هذا قوله : " من لا تقية له لادين له، والتقية ديني ودين آبائي ، ومن أذاع لنا سراً أذاقه الله برد الحديد ،وأمرنا سرٌّ مستور في سرّ ، وسرّ مستسرّ ، وسرّ لا يفيده إلا سرّ وسرّ على سرّ ، مقنّع بسرّ"[٣].

وتأولوا قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[٤] بأنه أمر من الله بوجوب إخفاء أسراره وتأديتها إلى أهلها ؛ لأن هذا السر لازال كذلك مستوراً مخفياً مودعاً عند أهله مضنوناً به على غيرهم [٥].

ولذلك كانوا ينبهون الداخلين في نحلتهم على منع إفشاء أسرارها وتحليفهم على ذلك بأغلظ الإيمان، وهذه الأجوبة أمانة عندك مؤكدة معظلة مشددة يسألك الله عنها: أنك لا نسخت منها حرفاً ولا اطلعت عليها أحداً، ولتردها إلى من يوصلها إليك هذه النسخة[٦].

---

١ – الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د. مُحَمَّد أحمد الخطيب ، ص ١٢٩.

٢– يراجع : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، ص ٤٦– ٤٩.

٣– أربع رسائل إسماعيلية ، عارف تامر ، ص ٣٤، جامع الأسرار ومنبع الأنوار ، شيخ سيد حيدر آملي ، ص ٣٣ ، تصحيح وتقديم : هنري كربين و عثمان إسماعيل يحي، طهران – إيران ، ١٣٤٧هـ –١٩٦٩م، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص ٥١.

٤– سورة النساء ، الآية : (٥٨) .

٥– جامع الأسرار ومنبع الأنوار ، شيخ سيد حيدر آملي، ص ٢٢٦، ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، د. مُحَمَّد أحمد الخطيب ، ص ٥٢.

٦ – مسائل مجموعة من الحقائق العالية، ضمن أربع رسائل إسماعيلية ص ٦٤، مرجع سابق.

والواقع أن النزعة السرية أو التقية لم تكن مقصودة لذاتها لدى الباطنية ، وإنما كانت منهجاً يتوصل من خلاله إلى بث آرائهم ونشر عقائدهم، فضلاً عن توسلهم بها إلى بلوغ السلطة ومحاولة التسلق السياسي وتحقيق طموحاتهم السياسية[1].

وجرياً وراء التخفي والتستر ، لوقوع كثير من الناس في باطنيتهم ، فقد شددت الباطنية على أمور ، (يقول أحد دعاتهم : لقد كانت التعاليم الإسماعيلية تأمر العامة بالتمسك بالعبادات العملية ،أي بالعلم الظاهر، وتنشر بين الخاصة وأهل الدعوة العبادات العلمية ، أي علم الباطن والفلسفة والتأويل) [2].

وتطبيقاً لذلك (فقد شدد الباطنية على :

- تمسك العامة بالعبادات العملية ، أي بالعلم الظاهر .
- نشر العبادات العلمية بين الخاصة وأهل الدعوة ،أي علم الباطن والفلسفة والتأويل.
- الحرص على إخفاء تأويلاتهم التي هي حقيقة مذهبهم لاسيما في كتبهم ،وتنبيه الداخلين في نحلتهم على منع إفشاء أسرارها وتحليفهم على ذلك بأغلظ الإيمان)[3].

(فلينظر العاقل كيف خالفوا في هذا الكتمان نصوص القرآن ، قال تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[4]، وقال سبحانه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[5]،واعلم أنه ما مثل هذا العهد والدخول تحته إلا مثل رجل صحيح سليم بصير، لاحائل بينه وبين ما يريد رؤيته، فقال له غيره: دعني حتى أجعل على عينيك حجاباً حتى أقودك إلى النجاة فساعده على ما أراد فهل أضل عقلاً منه) [6].

١- الباطنية وخطرها على العقيدة ، د. عبد المنعم فتحي عوض ، ص ٩٠٩ بتصرف ، حولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ، العدد ٢٥، ١٤٢٨هـ –١٩٧٨م.

٢ –الإيضاح لأبي فراس شهاب الدين الديلمي ، تحقيق وتقديم : عارف تامر ، مقدمة المحقق ، ص ط ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى ، ١٩٦٤م.

٣ – الاتجاه الباطني في تفسير القران، محسن عبدالحميد، بتصرف، مجلة دعوة الحق ، العدد٢٣٢.

٤ – سورة آل عمران ، الآية : (١٨٧) .

٥ –سورة البقرة ، الآية : (١٥٩) .

٦ – الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، للخطيب ، ص ١٢٨، أربع رسائل إسماعيلية ، ص٥٤، مرجع سابق.

المطلب الثالث

تجاوز حدود التأويل

لم يقف الباطنية في تأويل آيات القرآن الكريم عند حد اللفظ والمعنى أو الظاهر والباطن – كما يدَّعون – بل إنهم تجاوزوا حدود التأويل وذهبوا إلى أبعد من ذلك ، (فقد حاول الإسماعيلية الباطنية أن يسبغوا على أئمتهم صفات باطنية بحيث أصبحوا في مرتبة لا تمت إلى البشرية بصلة، فهم يقولون ظاهراً إن الأئمة بشر كسائر الناس ويأكلون وينامون ويموتون، ولكنهم في تأويلاتهم الباطنية يقولون :إن الإمام هو "وجه الله" و"يد الله"و"جنب الله" وأنه الذي يحاسب الناس يوم القيامة ويقسمهم بين الجنة والنار وأنه هو الصراط المستقيم" و"الذكر الحكيم" و"القرآن الكريم") [١] .

وليس هذا بغريب على الباطنية الذين رفعوا أئمتهم إلى درجة الألوهية وأضفوا عليهم صفات الإله، وقالوا :إن الله اتحد وحل في أئمتهم، وكل وصف لله في القرآن إنما هو وصف لآلهتهم (يقول الداعي الإسماعيلي الباطني شهاب الدين أبو فراس:واعلم أن الامام الموجود لا يخلو منه مكان ولا يحوزه زمان لأنه إلهى الذات، سرمدي الحياة ولو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق على معرفته وصول)[٢].

والباطنية إذ يقولون باتحاد الله وحلوله ، يرون أن الله لا يمكن أن يعرفه خلقه إلا إذا وجد في صورة بشرية يراها فيها البشر ، بل وفي كل صورة ،ولذلك فإنهم يسجدون عند ذكر الامام، فقد جاء في رسالة "رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور للداعي الإسماعيلي الطيبي"، (وإذا وصل إلى ذكر الامام سجد وسجدوا) [٣].

كما أنهم أنكروا يوم القيامة ، وقالوا :إنها رمز لخروج الإمام ، وقيام قائم الزمان، وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر، "عودة الروح إلى مبدئها ، وهي النفس الكلية وجنة النعيم هي عالم العلم ودرجاتها هي مراتب العلوم والعقاب هبوط النفس في الأجساد الهابطة"[٤].

١ – الاتجاه الباطني في تفسير القرآن ، د. محسن عبد الحميد ، مجلة دعوة الحق ، مرجع سابق ، وموسوعة الفر ق المنتسبة إلى الإسلام ، الدرر السنية ، ج٩،ص ١٤٨.

٢ – أربع رسائل إسماعيلية ، تحقيق: عارف تامر ، "رسالة : مطالع الشموس " ، ص ٣٣، مرجع سابق .

٣ – أربع رسائل إسماعيلية ، تحقيق: عارف تامر، ص ٧٦.

٤ –فضائح الباطنية للغزالي، ص٤٤ و الحركات الباطنية، د .محمَّد أحمد الخطيب، ص١١٢-١١٦، يراجع: الشيعة والتشيع ، إحسان إلهي ظهير، ص ٢٣٦ ،الطبعة:الأولى ١٤٠٤ هـ -١٩٨٤ م.

والدروز يؤلون قوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (١) وفق زعمهم بألوهية الحاكم فيقولون : إن القول هو قول الحد السابق والمقصود ب" أقم الصلاة" إشارة إلى توحيد مولانا جل ذكره ، (وأمر بالمعروف) توحيد مولانا جل ذكره ، (وأنه عن المنكر) يعني :شريعته وما جاء به من الناموس والتكليف(إن ذلك من عزم الأمور) يعني :الحقائق وما فيها من نجاة الأرواح من نطق الناطق"(٢).

ويدل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ (٣) ، عند الدروز على التناسخ، فالنفس عندهم لاتنتقل للحياة الآخرة والتي بدايتها الحياة البرزخية لتنال الثواب أو العقاب ،ولكن في نفس إنسان آخر والنفس الصالحة تنتقل إلى نفس أكثر درجة منها في الصلاح لتكون أكثر سعادة والشريرة الى نفس دونها في الشر لتزداد شقاءاً (٤).

والنصيرية : يؤلون الكلمات في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ (٥) بأنها الظهورات التي ظهر فيها الله للبشرية"(٦)، والمقصود علي بن أبي طالب .

أما البهاء فيقول: إن ظهور ذلك الجمال الأزلي – يعني نفسه خاضعا للحدودات البشرية مثل الأكل والشرب والفقر والغنى والعزة والذلة والنوم واليقظة مستدلاً (٧)بقوله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾(٨).

والمتأمل في هذه التأويلات يجد أنها تخطت حدود التأويل ونطاقه ، وجاوزت معناه الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله بدليل أوقرينة تؤيده وتدل عليه ، حتى صارت ضرباً من الترّهات والأباطيل التي تنكر ثوابت الدين وأصوله وأركانه بل وتتجرأ على مقام الألوهية ،

---

١ – سورة لقمان ، الآية : (١٧).

٢ – يراجع الشيعة والتشيع ، إحسان إلهي ظهير ص ٢٣٦، مرجع سابق.

٣ – سورة النساء ، الآية : (٥٦).

٤ – يراجع : إسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ، ص٣٠١، مرجع سابق.

٥ – سورة الكهف الآية : (١٠٩).

٦– الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ،د مُحَمَّد أحمد الخطيب ، ص٣٤٢، مرجع سابق.

٧– البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية ،تأليف: عبدالحمن الوكيل ،ضبط ومراجعة: أحمد حمدي إمام، ص ١٦٧، شبكة الألوكة ،مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر، الطبعة الثانية، ١٤٠هـ–١٩٨٦م .

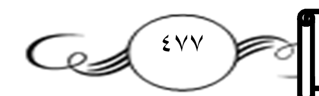
٨ – سورة النساء ، الآية : (٥٦).

وتتعدى على مقام النبوة ، وتنكر القيامة ، وتنادي بما نادت به الفلسفات القديمة ولأديان الوضعية من القول بالتناسخ والحلول والاتحاد والإباحية مما يؤكد الصلة الوثيقة بينها وبين الباطنية.

ومن ثم (فإن هذه العقائد الباطنية بمنهجها التأويلي ، تمثل تجاوزاً خطيراً لكل العقائد والمفاهيم التي جاء الإسلام من أجلها ، بل إنها في سعيها لنسف الظاهر وكشف الباطن ،تحاول أن تنسف الإسلام كدين ، وأن ترسي بدلاً منه المفاهيم الإلحادية الباطنية المشتملة على الإباحية المطلقة) [١] .

ويصرح الديلمي بفساد مذهبهم في التأويل لعدم المطابقة بين الظاهر والباطن من حيث الحقيقة والمجاز ووحدة التأويل وتعدده ، فيقول : (اعلم أن مذهبهم في الجملة أن لابد لكل ظاهر من باطن وهو المقصود في الحقيقة ، وهو بمنزلة اللب والظاهر والباطن ، بل تأويلاتهم لا تناسب الظاهر من حيث الحقيقة والمجاز ولم يقتصروا مع ذلك على تأويل واحد ، بل أثبتوا تأويلاً للتأويل، وجعلوا للعبارة الواحدة أيضاً تأويلات عدة حتى روي عن مواليهم : إنا نقول الكلمة لها سبعة وجوه ، فقال قائل سبعة وجوه ، فقال سبعون ، فقال القائل سبعون ، فقال : سبعمائة ، فكل ما ارتج على قارئه وخفيت معرفته ودقت عليه إشارته وكنا بقربه فليسألنا عنه ، أو من يعلم أنه أعلم منه من أبناء جنسه ممن يحمل هذا العلم ، ومتى كان الأمر على ما ذكر ،فلا يمكن الوقوف على المراد بالكلام أصلاً والحال هذه ، ولعل السائل لو قال له سبعمائة قال سبعة آلاف ، ثم كذلك لأن كل ذلك قد خرج عن الحصر لعدم المطابقة ، وهذا يحقق لكل ذي تمييز أن غرض القوم الخلع عن الدين، والسلخ عن دين المرسلين–صلوات الله عليهم أجمعين– وقد قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[٢])[٣]، وبذلك يحل الباطن محل الظاهر ، والباطل محل الحق ، وينسل الإنسان من دينه كما تنسل الشعرة من العجين ، ورحم الله الإمام الغزالي حين قال عن الباطنية : (إن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب الى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة فان مساقها ينقاد إلى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين) [٤].

١ – الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ،د. مُحَمَّد أحمد الخطيب ، ص ١٣٤.
٢ – سورة الزمر، الآية : (٦٠) .
٣ – قواعد آل بيت مُحَمَّد الباطنية ، مُحَمَّد حسن الديلمي ، ص ٥٣ بتصرف.
٤ – فضائح الباطنية للغزالي، ص ١٨.



المبحث الثالث
مقاصد التأويل الباطني

تعد المقاصد المعبر الأول عن صلاح المنهج أو فساده وصحته أو كذبه وحقه أو باطله، كما قيل : الأمور بمقاصدها ، فإدراك المعاني الكامنة والآثار والنتائج المترتبة عليها يتوقف على العلم بمقاصدها وغاياتها، ولذا كان من الضروري ونحن نتعرض للتأويل الباطني أن نقف على المقاصد والأهداف التي جعلتهم يعتمدونه أصلاً وأساساً يُرجع إليه في تقرير قضايا العقيدة والشريعة عندهم ، وهو ما سوف تبرزه هذه الدراسة في المطالب الآتية:

المطلب الأول
التشكيك في الثوابت الدينية

يعد التشكيك في الثوابت الدينية ومعتقدات أهل السنة والجماعة أحد أهم مقاصد التأويل عند الباطنية ،ومن ثم يعمل دعاتها جاهدين على هدم أصول الإسلام من خلال عمليات التشكيك المنهجة (1)،ومن ذلك توجيههم للمبتديء في الدعوة بقولهم له : (أتدري من مُحَمَّد فيقول : نعم مُحَمَّد رسول الله خرج من مكة وادعى النبوة وأظهر الرسالة وعرض المعجزة ، فيقول:

١- الذي يطالع الفكر الحداثي ودعاته يجد أنهم يسلكون مسلك الباطنية القديمة في تشكيك الناس في ثوابت الدين ومحاولة تفريغ الشرائع من محتواها العقدي والقيمي(فالوحي الذي يحصل للنبي – في تصور الباطنية الجديدة – لا يختلف في حقيقته عما يحصل للكاهن والشاعر البليغ؛ فالأنبياء في حقيقة الأمر يشتركون مع الكهان والفنانين أصحاب الحس المرهف والشعراء الكبار في القدرة على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والمنام ،وقد كان لهذه النظرة الباطنية انعكاسات كثيرة، من أبرزها: أن القرآن لم يعد هو كلام الله المنزل على نبيه، وإنما هو كلام الرسول الذي عبر به عن الشعور النفسي الذي هجم على عقله فحرك خياله الفسيح ليخرج لنا ما نسميه «القرآن المقدس»، ومن انعكاسه أيضاً: أن الوحي لم ينقطع بنبوة مُحَمَّد ﷺ؛ وإنما هو حالة لا تزال مستمرة ما بقي النشاط الإنساني مستمراً ؛ لأن الإنسان يحتاج إلى أن يتجاوب مع واقعه الخارجي؛ فهو لا يستغني عن حالة الوحي التي مرت بالأنبياء ،وإذا كانت عقيدة اليوم الآخر والبعث والحساب والجزاء والجنة والنار عبارة عن رموز لا حقيقة لها عند الباطنية القديمة، فهي كذلك عند العقل الحداثي، عبارة عن رموز لمعانٍ أخرى لا تشير إلى وقائع مادية ، بل هي بواعث سلوكية ودوافع للفعل ، والشريعة الإسلامية حين تذكر في نصوصها المقدسة الجنة والنار ، إنما قصدت مراعاة العقلية العربية البسيطة المبنية على تقبُّل الأسطورة، وفي تأكيد هذا المعنى ،لا ينفك الخطاب الحداثي يكرر دوما بأن القرآن مليء بالأساطير التي كانت شائعة في الجاهلية، وأنه استخدمها من أجل نشر دعوته ورسالته ، وإذا تتبع القارئ المنتج الحداثي فسيجد أمثلة عديدة نالها التأويل الباطني، ولم تسلم من سطوته، ومن أشهرها وأكبرها: العبادات الخمس التي تمثل أركان الإسلام، فقد تغيرت عن صورتها وشكلها وعددها وأنظمتها في النظرية الباطنية الجديدة ، وكما استوعبت الباطنية القديمة كلَّ المذاهب والاتجاهات، فكذلك الباطنية الحداثية؛ ولهذا أخذ يصرخ أتباعها بأنه لا يوجد إسلام واحد، له أصول مشتركة وعقائد محددة يُلزم الناس بها ولا توجد عبادات ظاهرة تجب على عموم المسلمين، فليس هناك إسلام صحيح موافق للحق وإسلام باطل، وإنما لكلٍّ إسلامه وتصوره، وكل التصورات صحيحة ولو كانت متناقضه مع نفسها).يراجع: الاتجاه الباطني في تشكله الجديد ، سلطان العميري، بتصرف شديد ، مجلة البيان مرجع سابق.

ليس هذا الذي تقول إلا كقول هؤلاء الحمير يعنون به المؤمنين من أهل الإسلام ، إنما مُحَمّد أنت فيستعيذ السامع ويقول:لست أنا مُحَمّداً، فيقول له : الله تعالى وصفه في هذا القرآن فقال: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1]، وهؤلاء الحمير يقولون من مكة ،فيقول له الغر الغمر : على أي معنى تقول أنا مُحَمّد ، فيقول :خلقك وصورك خلقة مُحَمّد ، فالرأس بمنزلة الميم ، واليدان بمنزلة الحاء ، والسرة بمنزلة الميم، والرجلان بمنزلة الدال ، وكذلك أنت علي أيضاً عينك هي العين ، والأنف هي اللام ، والفم هو الياء ، ثم يقول :إن الله ما خلق شيئاً إلا على صورة مُحَمّد وعلي حتى الفارة خلقها على هذه الصورة يوهمه بأن قول القائل : مُحَمّد –ﷺ –وعلي –رضي الله عنه –لا لشخصين من الأشخاص المعينة يريد النبي –ﷺ– والمسمى بعلي رضي الله عنه) [2] .

يفهم من ذلك أن الباطنية يشككون الناس في ثوابت الإسلام ، ولاشك أن الإيمان بالله ورسوله أصل هذه الأصول ، فإذا تم التشكيك في هذا الأصل ، فهو بداية الطريق لهدم الإسلام بالكلية ،كما أنهم يدركون ارتباط المسلم بالنص المتمثل بالقرآن والسنة، فيأتي التأويل الباطني بغرس المفاهيم المنحرفة للآيات القرآنية ، والرسول عندهم هو كل إنسان، فالإيمان به هو إيمان الإنسان بنفسة ، وهو الفهم الصحيح عندهم للآية لا كما يفهم العوام ، بل الحمير ، أي أهل السنة على حد زعمهم

وكذلك يقولون :(إن المراد بإثبات الذات يرجع إلى نفسك ويؤولون عليه قول تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾[3]، ويقولون :الرب هو الروح ، والبيت هو البدن يمهدون بكلامهم هذا أن لا إله ولا نبي سوى هذا البدن على التصوير الذي صوَّره حتى يقرروا عنده أن لا تكليف عليه ولا قطع له عن الراحة البشرية)[4] إلى غير ذلك من التأويلات الباطنية التي تتعارض مع تعارضاً تاماً مع ظواهر النصوص الدينية ،ومقررات الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً، بغية تشكيك المسلمين ثوابت دينهم لاسيما ما يعتقده أهل السنة والجماعة؛ لتفريغ الدين من محتواه ومضمونه وصولاً إلى الانسلاخ منه بالكلية .

---

[1]- سورة التوبة ، الآية : (١٢٨).

٢ – التبصير في الدين للإسفراييني ، ص ١٤٦-١٤٧، مرجع سابق .

[3] – سورة قريش ، الآية : (٣) .

[4] – التبصير في الدين للإسفراييني ، ص ١٤٦-١٤٧، مرجع سابق .

المطلب الثاني
تعميق الاعتقاد الباطني

يقوم التأويل عند الباطنية على ترجمة القرآن الكريم إلى لغة عقيدتهم ،وكأن هذه العقيدة قد صيغت في البدء بمنأى عن القرآن والسنة ، ومن ثم فهم يدعمون حركتهم وعقائدهم ، ويعززونها بأسانيد قرآنية تؤثر في نفوس أتباعهم وتعمل على تعميق الاعتقاد بمذهبهم بين الناس ، ففي نفيهم أو تجاوزهم للمعاني الظاهرية للقرآن يبرز الفراغ الفكري الذي كانت تملأه تلك المعاني، ومن هنا يفتح المجال لنزعاتهم وتطلعاتهم كي تتحرك وتؤثر بحرية بعيدة المدى [١].

وتعمل الباطنية جاهدة على تكثير أتباعها وتأكيد عقائدها من خلال التأويل الباطني للنصوص الدينية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة،؛ لتعميق الاعتقاد بأفكارها وعقائدها لاسيما (الإمامة واعتبار ذلك من أصول الإيمان التي لا يصح إيمان مسلم إلا بها ؛لأن الأئمة المختصون بعلم الباطن هم أوصياء الله على خلقه وأعرف الناس به) [٢].

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: "الأئمة قوام الله على خلقه ، وعرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه " [٣] .

وتستنتج من قوله هذا ترسيخ الاعتقاد في الأئمة والإمامة والتأكيد على تطابقها مع النبوة ، ومن ثم يعلي من قيمة أقوالهم وتأويلاتهم ، ووجوب طاعتهم والتحذير من معصيتهم ؛لأنهم أفضل الخلق وأحبهم إلى الله [٤].

وقد ظهر هذا التأكيد في بيان الشيخ الصدوق ما يجب على الشيعة اعتقاده في الأئمة، بقوله: (ويجب أن تعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من مُحَمَّد والأئمة ، وأنهم أحب الخلق إلى الله ..، وأن الله تعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته – عليهم السلام – وأنه لولاهم لما خلق الله السماء والأرض ، ولا الجنة ولا النار ..، وأنهم أولوا الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم ..،

---

١ – يراجع :الحركات الباطنية ، ص١٣٣، الاسماعيلية في المرحلية القرمطية ، سامي العياشي ، ص ١٦٥.
٢- التحول السياسي في صدر الإسلام والتأسيس لفرضية الصراع قراءة في الأيديولوجيا الشيعية ، د. مُحَمَّد أمزيان ، ص٣٧٥ بتصرف ، مجلة الدراسات الإسلامية ، قسم العلوم الإسلامية ، جامعة قطر ، العدد٦ ، ٢٠٠٦م،
٣- بحار الأنوار للمجلسي ، ج ٢٤، ص ٢٥٥، مرجع سابق .
٤- التحول السياسي في صدر الإسلام والتأسيس لفرضية الصراع قراءة في الأيديولوجيا الشيعية ، د. مُحَمَّد أمزيان ، ص٣٧٦ بتصرف ، مرجع سابق.

وأركان توحيده وأنهم معصومون من الخطأ والذلل..،وأن لهم المعجزات والدلائل ..، وأن وليهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله) [١].

ومن خلال هذه الرؤية الباطنية للأئمة اعتبرت تأويلاتهم ديناً يجب الإيمان به ومعتقداً يجب اعتقاده لأن قولهم قول الله وأمرهم أمر الله، (هذا بخصوص الأئمة ، أما فيما يتعلق بالأتباع والأشياع ، وهم كل من دان بعقيدة الإمامة فهم أطهار بالولاء وهو مبدأ ديني صرف وفق لما يعتقده محققوا الشيعة الذين يغيرون هذا الولاء إجابة وامتثالاً لدعوة النبي – ﷺ – لعلي :"اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ " [٢]، وهؤلاء الأتباع فازوا برضوان الله وضمنت لهم الجنة بانتسابهم إلى شجرة طوبى التي ترمز إلى كل من ينتحل التشيع)(٣)، وتقرأ في نص منسوب للإمام الباقر قال فيه (أنتم شيعة الله وأنهم السابقون الأولون والسابقون الآخرون، والسابقون في الدنيا إلى الأنبياء ، والسابقون في الآخرة إلى الجنة ، وقد ضمنا لكم الجنة بضمان الله وضمان الرسول – ﷺ – ما علي درجات الجنة أحد أكثر أزواجاً منكم ، فتنافسوا في فضائل الدرجات أنتم الطيبون ونساؤكم الطيبات ، كل مؤمن منكم صدِّيق وكل مؤمنة منكم حوراء) [٤] ، وفي مقابل نظرتهم هذه للمؤمنين بهم والمنتسبين إليهم نجد أنهم ينظرون إلى خصومهم على أنهم أعداء ملعونين (بناءاً على قاعدة الولاء الطائفي الذي يستندون منه إلى قول الله لنبيه – ﷺ–بعد أن وجد أسماءهم مكتوبة على ساق العرش: "يامُحَمَّد هم الأئمة بعدك مطهرون معصومون وأعداؤهم ملعونون"[٥])[٦].

ووفقاً لهذه الرؤية الطائفية والنزعة العنصرية (يبقى الإيمان حكراً على الطائفة الشيعية – ومن وافقهم من فرق الباطنية – دون سواهم من الخلائف ، وهي مسألة سلكوا في إثباتها مسالك بالغة التكلف والاختلاق ، وشديدة التنطع) [٧] .

١- الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ، تحقيق : عصام عبد السيد، ص ٩٣-٩٤، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ، ١٤١٤ هـ.

٢- مسند أحمد ، مسند علي بن أبي طالب ﷺ ، (٢٦٢/٢) ، حديث رقم (٩٥٠).

٣- التحول السياسي في صدر الإسلام والتأسيس لفرضية الصراع قراءة في الأيديولوجيا الشيعية ، د. مُحَمَّد أمزيان ، ص ٣٧٩-٣٨٠، مرجع سابق .

٤- شجرة طوبى للشيخ مُحَمَّد مهدي الحائري ، ج ١ ، ص ٤-٥ ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، الطبعة: الخامسة ، ١٣٨٥هـ.

٥- حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه ، مُحَمَّد مُحَمَّديان ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، بدون طبعة ، بدون تاريخ.

٦- التحول السياسي في صدر الإسلام والتأسيس لفرضية الصراع قراءة في الأيديولوجيا الشيعية ، د. مُحَمَّد أمزيان ، ص ٣٨٠، مرجع سابق .

٧-التحول السياسي في صدر الإسلام والتأسيس لفرضية الصراع قراءة في الأيديولوجيا الشيعية ، د. مُحَمَّد أمزيان ، ص ٣٨٤، مرجع سابق.

ولدعم هذا الاعتقاد وتعميقه في نفوس الأتباع والمدعوين نجدهم قد تعسفوا في تأويل بعض النصوص ، ومن الشواهد على ذلك :

–تأويلهم لقول الله تعالى:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ (1)،" أنهم علي وشيعته"، ورووا في ذلك حديثاً عن ابن عباس قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل: " والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم " فقال: قال لي جبرئيل:ذلك علي وشيعته، هم السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامته لهم"(2) .

–وقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾(3) ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: "هم أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين"(4).

–وفي تأويلهم لقول الله تعالى:﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ (5) ، قالوا على لسان علي – ﵁ – : "هو أنا إذا خرجت أنا وشيعتي ، وخرج عثمان وشيعته ، ونقتل بني أمية فعندها"يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ "(6).

–وقوله تعالى : ﴿ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ (7) ، بأنهم مبغضوا علي والأئمة ، ويروون في ذلك حديث منسوب إلى رسول الله ﷺ: " إذا كان يوم القيامة قال الله تعالى لي ولعلي : " أدخلا الجنة من أحبكما وأدخلا النار من أبغضكما ، فيجلس علي على شفير جهنم فيقول هذا لي وهذا لك " (8) .

(وجرياً على قانون التأويل الرمزي ، حملوا خطبة النبي – ﷺ – في حجة الوداع على سبيل التحذير لهم والبراءة منهم) (9) في قوله : (" لا ألفينكم ترجعون بعدي يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأيم الله لأن فعلتموها لتعرفني في الكتيبة التي تضاربكم، ثم التفت إلى خلفه فقال :" أو

١– سورة الواقعة ، الآيتان : (١١–١٢).
٢– تفسير الميزان للسيد الطباطبائي، ج ١٩، ص ١١٨، مرجع سابق .
٣– سورة البينة ، الآية : (٧).
٤– منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ، العلامة الحلي ، تحقيق : أ. عبد الرحيم مبارك ،ص ١٤١، بدون طبعة ، بدون تاريخ .
٥– سورة الحجر : الآية : (٢).
٦– مختصر بصائر الدرجات ، الحسن بن سليمان الحلي ، ص ١٨ ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، الطبعة : الأولى ، ١٣٧٠هـ– ١٩٥٠م.
٧– سورة ق ، الآية : (٢٤).
٨– بحار الأنوار للمجلسي ، ج ٧ ، ص ٣٣٨، ج ٣٦، ص ٧٤، مرجع سابق .
٩– التحول السياسي في صدر الإسلام ، د. مُحَّد أمزيان ، ص٣٨٥، ٣٨٦، مرجع سابق.

علي أو علي ثلاثاً ، فرأينا جبريل فغمزه ، وأنزل على إثر ذلك :﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾[١]، بعلي بن أبي طالب ،﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾[٢]،ثم نزلت :﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[٣]،ثم نزلت :﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٤] من أمر علي بن أبي طالب، وإن علي لعلم للساعة لك ولقومك، وسوف تسألون عن محبة علي بن أبي طالب)[٥].

ومن خلال هذا العرض السابق يتضح أن الباطنية تعمل على تعميق الاعتقاد بالفكر الباطني متخذة من التأويل وسيلة لتحقيق هذا المقصد.

المطلب الثالث

إنكار التكاليف العملية وإبطال الشريعة

تهدف الباطنية من تأويلاتها إنكار التكاليف والتحلل من الشرع ،وليس فساد أشد من إنكار التكاليف – كما سبق–ولذلك تأولوا التكاليف و الثواب والعقاب والجنة والنار[٦] تمهيداً إلى الانسلاخ من الدين بالكلية ، قائلين :(إن الله استعجل المؤمنين به بذل أرواحهم وأموالهم على انْتِظَار موعد لَا يكون ، وَهل الْجنَّة إِلَّا هَذِه الدُّنْيَا وَنَعِيمهَا ،وَهل النَّار وعذابها إِلَّا مَا فِيهِ أَصْحَاب الشَّرَائِع من التَّعَب وَالنّصب فِي الصَّلَاة وَالصِّيَام وَالْجهَاد وَالْحج)[٧].

يقول الشاطبي:عن هدف الباطنيين من تأويلهم:(إنهم أرادوا باعتقادهم هذا إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً، وإلقاء ذلك فيما بين الناس لينحل الدين في أيديهم ، إذ لم يمكنهم إلقاء

١- سورة الزخرف ، الآية : (٤١).

٢- سورة الزخرف ، الآية : (٤٢).

٣- سورة المؤمنون ، الآيتان : (٩٣-٩٤).

٤- سورة الزخرف ، الآية : (٤٣).

٥- الأمالي للطوسي ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ، ص ٣٦٣، مؤسسة البعثة للطباعة والتوزيع ، دار الثقافة ، بدون تاريخ ، وبحار الأنوار للمجلسي ، ج ٣٧، ص ١٨٣، مرجع سابق.

٦ – وبهذه النظرة الباطنية حاول الخطاب الحداثي المعاصر إفراغ العقائد الإسلامية والعبادات العملية من محتواها بحيث غدت أموراً رمزية يتغير معناها والمراد منها بحسب تغيُّر الزمان والمكان، فالعقائد الإسلامية لا تَعْدُو أن تكون تجارب إنسانية يقوم بها المجتمع المسلم ثم لا يلبث أن يتخلى عنها أو يقوم بتغييرها إذا تغيرت الظروف أو اقتضت الحاجة إلى ذلك،" فحسن حنفي" على سبيل المثال يتعامل باحترافية باطنية مع عقيدة الجنة والنار، فيرى أن «الجنة والنار هما النعيم والعذاب في هذه الدنيا وليس في عالم آخر... الجنة ما يصيب الإنسان من خير الدنيا، والنار ما يصيب الإنسان من شر فيها». يراجع : الاتجاه الباطني في تشكله الجديد ، سلطان العميري ، مجلة البيان ، مرجع سابق، ومن العقيدة إلى الثورة ،د. حسن حنفي، المجلد الرابع ، ص ٦٠١، مكتبة مدبولي، القاهرة ، بدون تاريخ .

٧ – الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية للبغدادي ، ص ٢٨٢ .

ذلك صراحاً فيرد ذلك في وجوههم وتمتد إليهم أيدي الحكام ،فصرفوا أعناقهم إلى التحيل ومن جملتها صرف الهمم من الظواهر إحالة على أن لها بواطن هي المقصودة)[١].

ومن العجيب أنهم يزعمون – أي الباطنية– اختصاصهم بالجنة فيخاطب الباطني أخيه الباطني بقوله : (إنَّك وإخوانك هم الوارثون الَّذين ورثوا الفردوس ، وَأَرَادَ بإخوانه الباطنية ، وَزعم أَنهم هم الَّذين يَرِثُونَ الفردوس، ثمَّ فسر الفردوس فَقَالَ : هُوَ نعيم الدُّنْيَا ولذاتها الَّتِي حرمهَا على هَؤُلَاءِ الْجُهَّال الَّذين تمسكوا بشرايع قوم من المتنبئين هَنِيئًا لكم الراحات الَّتِي وصلتم إِلَيْهَا والخلاص من التكليفات الَّتِي ابتلوا بهَا)[٢].

ولتكثير سوادهم وصرف الناس عن دينهم ، فهم يبحون الفواحش من الزنا وغيره ويرون أن هذه الفواحش هي زينة الحياة الذنيا التي أمر الله عباده بأن يحرموها على أنفسهم يقول شيخهم للباطني:(أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا؟ فيقول: وكيف لي بذلك؟ فيتلو عليه: ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴾[٣]،ويتلو عليه:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٤]، والزينة هاهنا ما خفي على الناس من أسرار النساء ، فمن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة؛ فيمضي به إلى بيته فيبيت مع زوجته – يبيت شيخ الباطنية مع زوجة الباطني – فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة فلا يبقى منهم أحد إلاّ بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعي الملعون)[٥].

---

١ – الاعتصام ، ج١، ص ٣٢١–٣٢٢بتصرف، مرجع سابق.

٢ – التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، ص ١٤٤.(حتى وإن أقاموا هذه الشعائر فإن إقامتهم لها فيه ما فيه من مخالفة الدين والاستهزاء بشعائره ، فالصَّلَاةَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ: رَكْعَتَانِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ غُرُوبِهَا، وَالْأَذَانَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَقُولَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَرَّتَيْنِ، أَشْهَدُ أَنَّ آدَمَ رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ نُوحًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ يَقْرَأَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ الِاسْتِفْتَاحَ، وَهِيَ مِنَ الْمُنَزَّلِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ، وَالْقِبْلَةَ إِلَى بَيْتِالْمَقْدِسِ، وَالْحَجَّ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَنَّ الْجُمُعَةَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ لَا يُعْمَلُ فِيهِ شَيْءٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ بِكَلِمَتِهِ، وَتَعَالَى بِاسْمِهِ، الْمُتَّخَذِ لِأَوْلِيَائِهِ بِأَوْلِيَائِهِ).يراجع : الكامل في التاريخ لا بن الأثير ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ،ج ٦ ، ص ٤٦٣ – ٤٦٤ ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ –١٩٩٧م.

٣ – سورة الليل ، الآية : (١٣) .

٤ – سورة الأعراف ، الآية : (٣٢).

٥ – كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، لأبي عبد الله محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي المعافري اليماني ، تحقيق: محمد عثمان الخشت ، ص ٣٠، الناشر: مكتبة الساعي – الرياض.

يقول الإسفراييني: (وكما احتال الباطنية فِي أصُول الدّين احْتَالُوا أيضاً في اختداع أتباعهم واستمالة قُلُوبهم فأباحوا لَهُم جملَة اللَّذَّات والشهوات وأباحوا لَهُم نِكَاح الْبَنَات وَالْأَخَوَات وأسقطوا عَنْهُم فَرَائض الْعِبَادَات وتأولوا أَرْكَان الشَّرِيعَة[١] .

وهكذا ومن خلال ما نقلناه سابقاً عن الباطنية من تأويلات وما نقل عن علماء أهل السنة وتصويرهم لهذه التأويلات ، يتضح لنا الإجماع على أن هدفهم الخطير هو التحلل من الشرائع وإسقاط العمل بالظاهر الذي هو في حقيقة الأمر جميع شرائع الإسلام وأركانه العملية ، وليست هذه تهمة أو مجرد رد بدون تثبت وأدلة من جانب علماء المسلمين بل إن المتتبع لمثل هذه النتائج يجدها بكل دقة وأمانة في كتبهم ، وهذا عدد من نصوصهم على هذه النتيجة أو ذلك الهدف الأساسي من التأويل ، فمن أدعية المعز العبيدي دعاء أسماه "دعاء يوم السبت "ومما جاء فيه قوله: "وعلي القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الثامن من أبيه الكوثر السابع من آبائه الأئمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من البررة.... إلى قوله الذي شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم " وفي بعض مصادر الإسماعيليين إفصاح عن سقوط العمل بالظاهر لبعض الدعاة يقول فيه: "من عرف هذا الباطن سقط عنه عمل الظاهر وإنما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين ، أما من بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها عليك فقد أعتقته من الرق ورفعت عنه ورفعت عنه الأغلال والأصفاد وإقامة الظاهر "[٢].

يقول داعيهم الباطني سنان راشد الدين: (إن الإنسان متى عرف الصورة الدينية فقد عرف حكم الكتاب ورفع عنه الحساب وسقط عنه التكليف وسائر الأسباب" ، وفي كتاب "الحقائق الخفية": أن حجج الليل هم أهل الباطن المحض المرفوع عنهم في أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم)[٣] .

هذه هي نصوص القوم – وكما نلاحظها – ناطقة بنفسها على الإقرار والاعتراف على غرضهم من التأويل الباطني – وهو إسقاط الجانب العملي من دين الإسلام بتأويلات ساقطة وهذا هو أهم هدف يرنون إليه ولهم مع ذلك أغراض أخرى أجملها في ثلاثة أمور[٤]:

---

١ – التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ،ص ١٤٢بتصرف .

٢ – يراجع :موسوعة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ، الدرر السنية ، ج ٩ ، ص٧٩-٨٠ .

٣ – يراجع :المرجع السابق، ج ٩ ، ص٧٩-٨٠ .

٤ – يراجع : المرجع السابق ، ج ٩ ، ص٨٠.

الأمر الأول: التشكيك في المصادر الأصلية للمسلمين والدعوة إلى إبطال الشرائع وإبطال المعاد، ونشر الإباحية والانحلال الخلقي .

الأمر الثاني: إن الإمامة أصل من أصولهم فمن دعواها ومن طريقها يشرع أئمتهم حسبما يهوون ويريدون لأنهم هم أصحاب التأويل الذين يعرفون بواطن النصوص والأدلة ؛ ولذا فهم يؤولون حسب أغراضهم ومعتقداتهم.

الأمر الثالث: الدخول إلى الناس من عدة وجوه للدعوة إلى مذهبهم فمن كان مائلا إلى التحلل من العبادات والتكاليف أولوا له النصوص على الوجه الذي يستطيعون به جذبه إليهم ومن كان مائلا إلى الشهوات فتحوا له باب الانغماس فيها.

المطلب الرابع

الطعن في أهل السنة والجماعة

من مقاصد التأويل عند الباطنية الطعن في أهل السنة والجماعة والنيل منهم [١] لكسر شوكتهم وصرف الناس عن الأخذ عنهم والتأسي بهم، فهم خدمة الدين وحرَّاس الشريعة المحافظين عليها والقائمين بها ، وحائط الصد في وجه كل تيار جارف ، أوفكر منحرف أو دعوة باطلة ، ولذلك عمد الباطنية إلى الطعن فيهم والنيل منهم والتهكم عليهم والسخرية من فهمهم لقضايا الدين ونصوصه المقدسة ،معتمدين على التأويل الباطني ، فتارة يصفونهم بالعامة ، وتارة بالجهال ، وثالثة بأهل الظاهر .

ففي تأويل قوله تعالى :﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٢] (نجد أن المؤيد الشيرازي أحد دعاة الباطنية يتهكم بتفسير أهل السنة لهذه الآية ويؤولها تأويلاً باطنياً حسب منهجهم في تأويل النصوص فيقول: "فيا

---

١ – ومن الموافقات الدالة على التطابق بين الباطنية القديمة والباطنية الجديدة أن الخطاب الحداثي المعاصر يوجه الذم الشديد إلى العلماء والمفسرين والفقهاء ؛ لأجل أنهم لم يصلوا إلى النظرية نفسها التي توصَّل إليها –أمثال نصر أبوزيد ، وحسن حنفي ، ومحمد أركون ومن على شاكلتهم – وهي : "أنه لم يعد الأمر المهم في قراءة النص الديني البحث عن مراد الله ومقصوده من كلامه؛ وإنما بات الأمر المهم هو البحث عما ينقدح في ذهن القارئ للنص من معانٍ ولو كانت مخالفة لما كان من فهم الصحابة، ومن ثمَّ انتهت الباطنية الجديدة إلى أن إعجاز القرآن ليس راجعاً إلى عُلُو بيانه وسُمُوِّ فصاحته وإحكامه وتركيبه ودلالته؛ وإنما إلى أنه أقوى نص ينفتح على معانٍ لا حصر لها ويتقبل احتمالات لا عدَّ لها، ويتسع لكل المتناقضات، وكلها في الوقت نفسه تمثل حقيقته ومقصده وبات يصفهم بالسطحية والجهل والغباء[، تماماً كما فعلت الباطنية القديمة. يراجع :مقال : الاتجاه الباطني في تشكله الجديد ، سلطان العميري ، مجلة البيان ، مرجع سابق.

٢ – سورة البقرة ، الآية : (١٨٩) .

لها من غشاوة تمتد على بصر من لا يتدبر فحوى هذه الآية حق التدبر ولا يتفكر في معناها واجب التفكر من الذي جهل فيما مضى من الأزمنة وغابرها وغائب الأوقات وحاضرها أن الأبواب على البيوت من أجل الدخول فيها منصوبة وإليه على علاته منسوبة ، فما وجه تأديب الله سبحانه لخلقه بشيء يتساوى في علمه العالم والجاهل والغني والفقير من البصيرة ، ولولا أنه سبحانه عني بالبيت غير المبني من الطين والحجارة وكنى عن سواه بهذه الكناية والإشارة ولم لا يكون هذا البيت بيت الله الحي الناطق الذي أغاث به سبحانه الخلائق وهو رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في عصره باديا وكل إمام في زمانه ثانياً ؟بيوت الله المعمورة بالحكم ومعالم الدين التي هي منجاة الأمم،ولم لا يكون باب البيت أمير المؤمنين الذي هو باب النجاة وسبب دائم للحياة ؟ فعند ذلك يخلص من الآية المذكورة الزبدة وتسقط عنها في النقص إذا حملت على جهة ظاهرها العهدة ويكون كلام رسول الله –ﷺ –عليها دليلاً وبما تكلفت به كفيلاً: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ» [(١)] [(٢)] .

ولكون هذه التأويلات الباطنية للآيات القرآنية غير مبنية على حدود وضوابط أو قيود نجد أنهم يتهجمون على علماء المسلمين لا سيما المفسرين منهم فيصفونهم بالعامة حينا ، وبالظاهرية حيناً آخر [(٣)]، وبالجهل أحياناً أخرى، فهذا قاضي الإسماعيلية النعمان بن حيون يقول عند تأويله لإحدى الآيات القرآنية: (إن العامة الجاهلين المسمون بالعلماء قد عمهم الجهل حيث فسروا قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾[(٤)]،وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [(٥)]، بأن المراد بالدواب ذوي الحوافر والأظلاف ، ويتهكم بهذا التفسير ، ثم يقول : "والله منزه عما يقولون ومبرأ من إفكهم وضلالتهم "– أي مفسري أهل السنة وعلمائهم –،ثم يفسر الآية حسب منهجهم في التأويل الباطني القائم على اللعب بألفاظ القرآن، فيقول :إن المراد بالدواب هم الدعاة، والأرض في الآية الثانية مثل الحجة ، والدابة الجناح ، والطائر يدل على الداعي ، لأن هناك جناحاً أيمن وجناحاً أيسر ، وهو ما تدل عليه الآية الأولى ،وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ

١– أخرجه الحاكم في المستدرك ، (١٣٧/٣) ،حديث رقم (٤٦٣٧) ،وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه، وعلق عليه الذهبي ، فقال : بل موضوع ، المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

٢ – يراجع :موسوعة الفرق المنتسبة إلى الإسلام ، الدرر السنية ، ج ٩ ، ص٧٤.

٣– أدب مصر الفاطمية ، د. مُحَمَّد حسين كامل ، ص٢٥.

٤ – سورة الأنعام ، الآية : (٣٨).

٥ – سورة النمل ، الآية : (٨٢).

بِجَنَاحَيْهِ ومما يؤيد ذلك حسب زعمه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ [1]، يعني : أقيم لكم داعياً من الإمام)[2].

كما أنهم وصفوا أهل السنة بالجهال لإنكارهم التأويل الباطني ، فقالوا : إن الجهال المنكرين للباطن هم المرادون بقوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾[3]، وقال النعمان في قوله تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[4]، (وأما الذنبان المتقدم والمتأخر فهو ما جاء به أهل الظاهر والخلاف في مذاهبهم ، وقد نسبوه في الحديث إلى رسول الله – ﷺ – ، والتنزيل قد نسبوه إلى رأيهم وقياسهم واختلفوا فيما لا يعرفوه من أصله ...) [5]

ومن ذلك قولهم في تأويل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٦)، (وتزعم العامة أنها هي التي عني الله عز وجل ، ولوكان كما زعموا لكانوا كلهم مصطفين، ولكانوا كلهم في الجنة ، كما قال الله عز وجل: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾(٧) ،(٨)

وقصة موسى– عليه السلام – مع العبد الصالح دليل عندهم على أن العامة – أي أهل السنة – من المسلمين أضعف وأقصر من النهوض بأعباء تأويل القرآن الذي اختص به الوصي والأئمة [9]، وقول النعمان:(أما تأوله الجهال من أنه كان ملك ذلك الزمان ورأى أنه يولد فيه من ينزع ملكه، في قوله تعالى : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (١٠))(١١).

---

١ – سورة المائدة ، الآية : (١١٠).

٢ – أساس التأويل ، النعمان ، ص٣٠٣.

٣– سورة الحديد ، الآية : (١٣).

٤– سورة الفتح ، الآية : (٢).

٥– خمس رسائل إسماعيلية ،ص ٦٧، الرسالة المزهبية للقاضي النعمان ، تحقيق : عارف تامر ، منشورات دار الإنصاف للتأليف والطباعة والنشر ، سلمية – سوريا ، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م.

٦– سورة فاطر ، الآية : (٣٢).

٧– سورة فاطر ، الآية : (٣٣).

٨– الباطنية وموقف الإسلام منهم ، ص ١٤٤.

٩– أدب مصر الفاطمية ، د. محمد حسين كامل ، ص٢٦.

١٠– سورة الأنعام ، الآية : (٧٥).

١١– أساس التأويل للنعمان ، ص ١١٣.

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [١] ، أي : استرنا برحمتك ، لا كما زعمت العامة أهل الظاهر أن موسى ضرب الأرض بالتوراة التي أنزلها الله عليه [٢].

ويكشف ابن تيمية عن أغراضهم وعن الوسيلة الوحيدة التي دخل منها هؤلاء على المسلمين بترويج مبادئهم وإشاعتها بين الناس وهي التأويل ، وأنهم كانوا يهدفون من وراء ذلك إلى غرضين :

الأول: كسر شوكة الصحابة والسلف في نفوس المسلمين .

الثاني: صرف عقول الناس عما نقله السلف والصحابة من الأحاديث الصحيحة والآثار ليسهل بذلك استدراجهم إلى ما يريدون من الانخلاع عن الدين وتشكيكهم في المنقول إليهم عن طريق السلف ليشعروا بحاجتهم إلى هؤلاء الدعاة ليشرحوا لهم ما التبس أمره وعز فهمه عليهم[٣] .

١- سورة الأعراف ، الآية : (١٥١).

٢- أساس التأويل للنعمان ، ص ٢٣٢.

٣- فضائح الباطنية للإمام الغزالي ص٦٢،٦١ .

المبحث الرابع

موقف أهل السنة والجماعة من التأويل عند الباطنية ومواجهتهم له

آثارت تأويلات الباطنية موجة عنيفة من الأخذ والرد والإنكار لمذهبهم وما يحمله من أفكار وآراء تخالف ما عليه جمهور الأمة ، ووقف أهل السنة والجماعة لهم بالمرصاد، حيث أبطلوا منهجهم في التأويل ذاته ، وما ادعوه من عقائد باطلة لا عن عصبية مذهبية أو نزوع إلى التشهي والانتقام ، ولكن قياماً بواجبهم في الدفاع عن الدين وصون شريعته ، والذود عن حدوده والحفاظ على قدسية مصادره، وتبصير المسلمين بخطورة هذا الفكر وفق معايير قياسية في الدقة والحكم تراعي التطابق الدلالي بين المعنى المتأول ودلالة الألفاظ واشتقاقاتها اللغوية، وإجماع الأمة وجمهور العلماء ، وتحتكم إلى روايات السنة الشريفة وتفسير السلف الصالح – وقد سبق أن ذكرت رد أهل السنة من السادة المفسرين والمحدثين عليهم في معرض النقد لقواعدهم المنهجية في التأويل ، وسأذكر إن شاء الله – رد أهل السنة من المتكلمين والمحدثين وغيرهم على هذ التأويل الفاسد وتلك العقائد الباطلة من خلال منهج علمي منضبط يتمثل فيما يأتي:

أولاً : إبطال منهجهم في التأويل :

تصدى أهل السنة والجماعة لمذهب الباطنية وبيَّنوا أنهم خالفوا التأويل الصحيح وتجاوزوا شروطه [١] ، (واستباحوا لأنفسهم تحت هذا الستار تأويل القرآن الكريم تأويلاً يخرج به عن كونه كتاب الإسلام ودستوره االمقدس إلى إشارات ورموز لعقائدهم ، فأولوا جميع آياته تبعاً لنظرية المثل والممثول) [٢] دون أن يفرقوا بين ما يجوز تأويله ومالايجوز ، ولابين ما يوافق اللغة وواقعها الدلالي ومالا يوافق، ولابين ما تحتمله دلالات الألفاظ ومالا تحتمل .

يقول ابن رشد:(أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها ، ولا أن تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل واختلفوا في المؤول منها وغير المؤول ، فالأشعريين مثلاً يتأولون آية الاستواء وحديث النزول والحنابلة تحمل ذلك على ظاهره ، والسبب في ورود الشرع فيه الظاهر والباطن هو اختلاف فطر الناس وتباين قرائحهم في التصديق ، والسبب في ورود الظواهر المتعارضة فيه هو تنبيه الراسخين في العلم على التأويل الجامع بينها، وإلى هذا المعنى وردت الإشارة بقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ

---

١ – سبق أن أشرت إليها في التمهيد عند الحديث عن شروط التأويل .

٢ – الباطنية وموقف الإسلام منها ، د. جميل أبوالعلا ، ص ٢٧٤، مرجع سابق.

مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1] [2].

ويقول الإمام النسفي : (والنصوص من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها مالم يصرف عنها دليل قطعي كما في الآيات التي يشعر ظواهرها الجهة والجسمية ونحو ذلك ، لا يقال: ليست هذه من النصوص بل من المتشابه لأنا نقول : المراد بالنص ها هنا ليس ما يقابل الظاهر والمفسر والمحكم بل ما يعم أقسام النظم على ما هو المتعارف ، العدول عنها ، أي عن الظواهر إلى معان يدعيها أهل الباطن وهم الملاحدة –وسموا الباطنية –لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها ،بل لها معان باطنة لايعرفها إلا المعلم . وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية الحاد، أي ميل وعدول عن الإسلام واتصال واتصاف بكفر، لكونه تكذيباً للنبي عليه السلام فيما علم مجيئه به بالضرورة) [3] .

وقد سلك الإمام الغزالي في إبطال تأويلاتهم ثلاثة مسالك[4] هي: الإبطال والمعارضة والتحقيق ، وينتهي من خلالها إلى رفض تأويلاتهم واعتبارها باطلة ، والإقرار بأن الفوز والنجاة تكمن في موافقة الرسول – ﷺ– واتباعه فيما ورد عنه ،والقناعة بما رضي هو لنفسه ، إذ يستحيل في حقه – ﷺ – أن يكون قد أخفى شيئاً من الدين عن أمته وخص به أهل بيته مستنداً في ذلك إلى قوله – ﷺ – وفعله ، فيقول : (ولنا في رسول الله أسوة حسنة في قوله وفعله فلا نقول إلا ما قال ولا نظهر إلا ما يُظهر ونسكت عما سكت عنه) [5].

ونخلص من ذلك إلى أن التأويل حسب ما تشيعه الباطنية باطل وماهو إلا تحريف للقرآن الكريم ، وتناقض وكذب على الله ورسوله ، وتقوُّل على آل بيت سيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم –وبعد عن الحقائق ، وتشكيك للناس في دينهم ، والنيل من شهودهم في حمل الرسالة، ونقل العلم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وإبعادهم عن

---

١ – سورة آل عمران ، الآية :(٧).

٢ – فصل المقال لابن رشد ، ص ٣٣-٣٤، مرجع سابق .

٣ – شرح العقائد النسفية للعلامة سعد الدين التفتازاني ، ص ١٠٥-١٠٦ ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٤ – تراجع هذه المسالك للإمام الغزالي ومنهجه في الرد على الباطنية من خلال كتابه فضائح الباطنية ، ص ٥٨-٧٢، ودور الإمام الغزالي في مواجهة التأويل الباطني ، للأستاذ الدكتور . فتحي مُحَّد الزغبي ، ص ١٩-٢٣، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الرابع لقسم الفلسفة بكلية الآداب –جامعة القاهرة بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة ، أبريل ٢٠١٧م.

٥ – فضائح الباطنية للإمام الغزالي ، ص ٦١ وما بعدها .

الاحتكام إلى القرآن الكريم نفسه باعتباره المفسر الأوضح لنفسه، والسنة النبوية المطهرة باعتبارها الوعاء الجامع لأسرار القرآن وطرق تفسيره وبيانه.

ثانياً: بيان مخالفة التأويل الباطني لمقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية ومنهج السلف الصالح:

التأويل الباطني –كما ظهر في ثنايا هذا البحث– يتعارض مع طريقة القرآن الكريم والسنة البنوية المطهرة في الإيضاح والبيان التي هي أخص مهمات الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى، فمهمة الرسل عليهم –السلام – هي البيان لتحقيق مقصود دعوتهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] ، فضلاً عن تناقضه مع منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم – ومذهب جمهور المفسرين في تفسير معاني القرآن الكريم و بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالآيات المفسرة، وفقدان المنهجية المنضبطة وفقا الشروط والضوابط التي وضعها العلماء وتلقتها الأمة بالقبول .

ويبين الإمام ابن كثير ذلك في مقدمة تفسيره، فيقول: (إن أصح الطرق أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، فكل ما حكم به رسول الله –ﷺ –فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[2] ، وقال أيضاً: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] ،وقال أيضاً: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[4]، ولهذا قال رسول الله –ﷺ–: " أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرآنَ ومِثلَهُ مَعَهُ " ([5]) يعني:السنة ...، وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح،لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود –ﷺ أجمعين

---

١ – سورة إبراهيم ، الآية : (٤).
٢ – سورة النساء ، الآية : (١٠٥) .
٣ – سورة النحل ، الآية : (٤٤) .
٤ – سورة النحل ، الآية : (٦٤) .
٥ – أخرجه الإمام أحمد في مسنده ،(٢٨/ ٤١٠) ، حديث رقم (١٧١٧٤) .

– و إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين)[1]،قال ابن تيمية:(يجب أن يُعلم أن النبي –ﷺ–بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه في قوله تعالى :﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2])[3].

هذا هو مذهب جمهور المفسرين في تفسير القرآن وإيضاح معانيه وبيان أحكامه تحقيقاً لمقصده في هداية الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور،قال تعالى :﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[4] .

وهو ما عليه أهل السنة والجماعة ، ولذا اشترطوا سلامة المعتقد ، فجعلوا من شروط المفسر صحة الاعتقاد أولاً ولزوم سنة الدين ، والبعد عن الهوى والمذهبية [5].

يستنتج مما سبق أنه يشترط لصحة التفسير سلامة المعتقد، ولزوم السنة ، والجمع بين التناقض الظاهري عند التعارض ، ورد الأمر إلى الثابت من النقل عند تعذر الجمع ، وترجيح ما قوي استدلالاً، والتسليم بظاهر النص والإيمان بمراد الله عند اشتباه الأمر دون تهجم لتعيين المراد، والتجرد للطرح المقاصدي ، واتقان علوم الآلة ، وعدم مخالفة الإجماع ، أو زعزعة الاستقرار الدلالي للمفاهيم ، وقد خلا التأويل عند الباطنية من هذه الشروط والضوابط فلم يشتمل على شيء منها فخالفوا بمسلكهم هذا مقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومنهج السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم في الفهم والتلقي والإيضاح والبيان .

ثالثاً: إجماع أهل السنة والجماعة على أن هدف تأويلات الباطنية إسقاط العمل بالشرائع:

أجمع علماء أهل السنة على أن الهدف الرئيس من التأويل الباطني هو إسقاط الجانب العملي للشريعة والتحلل من التكاليف سعياً لإبطالها بأسرها .

---

١ – تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق: سامي بن مُحَّد سلامة ،ج١، ص٧–١٠بتصرف شديد ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢ – سورة النحل ، الآية : (٤٤) .

٣ – مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ، ص ٩ ، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان ، ١٤٩٠هـ– ١٩٨٠م.

٤ – سورة المائدة ، الآية : (١٥) .

٥ – الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ، تحقيق :مُحَّد أبو الفضل إبراهيم ،ج ٤، ص ٢٠٠–٢٠١ بتصرف ، مرجع سابق .

يقول البغدادي :(ثمَّ إن الباطنية لما تأولت أصول الدّين على الشّرك احتالت أيضاً لتأويل أَحْكَام الشَّرِيعَة على وُجُوه تُؤَدّى الى رفع الشَّرِيعَة أَو إلى مثل أَحْكَام الْمَجُوس ، والذى يدل على أن هَذَا مُرَادهم بِتَأْوِيل الشَّرِيعَة أَنهم قد أباحوا لأتباعهم نِكَاح الْبَنَات والاخوات وأباحوا شرب الْخمر وَجَمِيع اللَّذَّات) [١].

(ولهم من هذا الإفك كثير في الأمور الإلهية وأمور التكليف وأمور الآخرة، وكله حوم على إبطال الشريعة جملة وتفصيلاً،إذ هم ثنوية ودهرية وإباحية، منكرون للنبوة والشرائع والحشر والنشر والجنة والنار والملائكة، بل هم منكرون للربوبية، وهم المسمون بالباطنية) [٢].

يقول الإمام الغزالي :(وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الإنسلاخ عن قواعد الدين إذا سقطت الثقة بموجب الالفاظ الصريحة فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه)[٣].

رابعاً:حكم علماء أهل السنة على تأويلات الباطنية :

بناءً على ما سبق ذكره لموقف أهل السنة والجماعة من تأويلات الباطنية لنصوص الكتاب والسنة ، فإنهم حكموا عليهم بالغلو والشطط ، وأنهم منسلخين من الدين ، وأن جنايتهم على الإسلام أشد جناية من أعدائه .

يقول البغدادي : (إن ضَرَر الباطنية على فرق الْمُسلمين أعظم من ضَرَر الْيَهُود وَالنَّصَارَى والمجوز عَلَيْهِم بل أعظم من مضرَّة الدهرية وَسَائِر أَصْنَاف الْكَفَرَة عَلَيْهِم بل أعظم من ضَرَر الدَّجَّال الذى يظْهر فِي آخر الزَّمَان ، لِأَن الَّذين ضلوا عَن الدّين بدعوة الباطنية من وَقت ظُهُور دعوتهم الى يَوْمنَا أَكثر من الَّذين يضلون بالدجال فى وَقت ظُهُوره لِأَن فتْنَة الدَّجَّال لَا تزيد مدَّتهَا على أربعين يَوْمًا وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر)[٤] .

يقول ابن الجوزي عن الباطنية:(قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض ، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة ، ...ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ؛ ليقدروا

---

١ – الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٢٧٠.
٢ – الاعتصام للإمام الشاطبي ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، ج ١ ، ص ٣٢٢، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٣ – فضائح الباطنية للإمام الغزالي ، ص ١٢.
٤ – الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٢٦٥-٢٦٦، مرجع سابق .

بالتحكم بدعوى الباطل على إبطال الشرائع)[١]، ويؤكد الإمام الرازي فساد هؤلاء الذين تأولوا أحكام الشريعة على وجه يؤدي إلى رفعها فيقول : (إن الْفساد اللَّازِم من هَؤُلَاءِ على الدّين الحنيفي أَكثر من الْفساد اللازِم عليهِ من جَمِيع الْكفار) [٢] .

و بعد أن ساق البغدادي نماذج تأويلات الباطنية ، وذكر أساليبهم في الدعوة إلى بدعتهم –على حد قوله – أصدر حكمه عليهم بقوله: (والذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم زنادقة يقولون بقدم العالم ، وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع ، ويبطلون القول بالمعاد والعقاب) [٣] ، ومن ثم يعلن –أنهم خرجوا عن جميع فرق الإسلام[٤] ، ولهذا حكم الملطي بأنهم روافض ملحدون [٥] ، فمذهبهم ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض [٦] ، يظهرون التشيع، وإن كانوا في الباطن كفارا منسلخين من كل ملة [٧] .

يقول الإمام مُحَمَّد أبو زهرة في حكمه على الباطنية : (وحمل اسم الإسماعيلية الباطنية طوائف كثيرة بعضهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام ، وبعضهم انحرفوا بما انتحلوا من نحل لا يتفق ما اشتملت عليه مع المقرر الثابت من الأحكام الإسلامية ، فإن هؤلاء قد اتصلوا ببراهمة الهنود والفلاسفة الإشراقيين والبوذيين وبقايا ما كان عند الكلدان الفرس من عقائد وأفكار .... فبعضهم أخذ من كل هذه المخارف وأوغل فيه ، وكان بمقدار إيغاله بعده عن الإسلام ، وكانت السرية التي أحاطوا أنفسهم بها مدعاة لانقطاعهم عن جماهير الأمة ، فلم يستأنسوا بما كان عند السنيين ، وكلما اشتد الكتمان اشتد معه البعد) [٨]، ومن ثم فإن أهل السنة قد حكموا بأن الباطنية ليسوا فرقة إسلامية ، بل خارجون عن الإسلام داخلون في الزندقة والكفر.

١- تلبيس إبليس ، لأبي الفرج بن ا الجوزي ، ص ٩٣، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠١م .

٢- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، الإمام فخر الدين الرازي ، ص٧٦.

٣- يراجع : الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٢٧٨-٢٧٩بتصرف.

٤- يراجع : الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٢٩٩.

٥ – التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين الملطي العسقلاني ، تحقيق: مُحَمَّد زاهد الكوثري ، ص ٢٤، الناشر:المكتبة الأزهرية للتراث — مصر.

٦ – فضائح الباطنية ، للغمام الغزالي ، ص ٣٧ ، مصدر سابق .

٧ – منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية ،ج ٣، ص٤٥٢، مرجع سابق.

٨- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، الإمام. مُحَمَّد أبو زهرة ، ص٥١ بتصرف ، ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله تنال الخيرات والبركات، والصلاة والسلام على خير البريات وعلى آله وصحبه ما دامت الأرض والسماوات....فبعد هذا التطواف في ثنايا هذا البحث انتهى الباحث إلى النتائج والتوصيات الآتية :

أولاً : النتائج :

١– أن التأويل الصحيح هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى تحتمله الآية موافقاً لسياقها بدليل صحيح من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، أوقرينة تصرف هذا اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر قريب من المعنى المراد وإن لم يصل إلى حقيقته ، وفق ضوابط اللغة والواقع الدلالي ، والاستعمال الشرعي والعرفي ، وأن ماخرج عن هذه الضوابط فهو تأويل فاسد.

٢– التأويل عند الباطنية هو الأصل وليس الاستثناء ، فقد عمموا دلالاته وحكَّموه في جميع النصوص الدينية والأحكام الشرعية العبادية منها والعملية ، وكذا عقائد الإسلام بما فيها أخبار الغيب مع الإغراق والمغالاة فيما دعوه أسراراً ورموزاً للحروف والأعداد تبعاً لاعتقادهم أن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل .

٣– التأويل عند الباطنية لا يخضع لقاعدة ويتجرد من الضابط، ويجافي دلالات اللغة والواقع ويخرق اتفاق العلماء ومقررات الإجماع.

٤– المرجعية في التأويل عند فرق الباطنية ما نسب إلى آل البيت من الأئمة الأطهار وليس قول النبي –ﷺ– ولا صحابته الكرام الذين عاصروا التنزيل ولا اللغة ولا القياس، فهم الراسخون في العلم المراد على الحقيقة وهو علم الباطن ، وأما علم الظاهر فلا يؤدي إلى الحقيقة ولايمكن الاعتماد عليه .

٥– أن التأويل عند الباطنية يتوقف على رؤية المسئول وتصوره وهو الإمام والحجة في زعمهم دون مراعاة لضوابط التأويل التي وضعها العلماء وتلقتها الأمة بالقبول.

٦– تدليس الباطنية على أئمة أهل البيت الأطهار، والافتراء عليهم بوضع تأويلات فاسدة، ودس الكذب ونسبة ذلك إليهم ، وهم مبرأون عن هذا الإفك المفترى.

٥– اختصاص التأويل الباطني بجملة من الخصائص التي تعتمد على تحريف القرآن الكريم والادعاء بأنه له باطناً لا يعلمه إلا الأئمة الأخيار من آل بيت النبي –ﷺ– وذريتهم والقائمين مقامهم.

٦- من مقاصد التأويل عند الباطنية تشكيك المسلمين في دينهم ومصادرهم، والطعن في أصول الدين وقواعد الملة ، والطعن في الصحابة والسلف الصالح وعلماء أهل السنة وكسر شوكتهم، وإسقاط هيبتهم في عيون الناس وصرف عقولهم عما نقله السلف الصالح إليهم .

٨- إسقاط التكاليف والتحلل من الشريعة، ونشر الانحلال الخلقي وصولاً إلى الانسلاخ من الدين أهم مقاصد التأويل عند فرق الباطنية.

٩-تدليس الباطنية على أئمة أهل البيت الأطهار ، والافتراء عليهم بوضع تأويلات فاسدة ، ودس الكذب ونسبته إليهم وهم مبرأون عن هذا الإفك المفترى .

١٠- تأثر الفرق الباطنية بالفلسفات القديمة ، والأديان الوضعية ، والتيارات المغرضة والمنحرفة في تأويلاتها وعقائدها .

١١- وجود تشابه كبير بين الباطنية القديمة والباطنية الحديثة ، ولكنها هذه المرة تتبدى في ثوب مختلف وتشكُّل مغاير وأضحت تتسمى بأسماء جديدة: كاسم التنوير والتجديد والحداثة ، وأن التأويل هو القاسم المشترك بينهما.

١٢- قيام أهل السنة بواجبهم في الدفاع عن الإسلام والذود عن عرينه؛ والتصدي للفكر الباطني ومواجهته وسائر الأفكار المنحرفة والتيارات الفكرية والفرق الغالية وقولاً وعملاً، تنظيراً وتصنيفاً ،تحذيراً وإرشاداً.

ثانياً التوصيات:

- يوصي الباحث بدراسة الحركات الباطنية لاسيما المعاصرة منها كل فرقة على حدة وبيان خطورتها على الإسلام والمسلمين.
- إقامة مرصد بالأزهر الشريف لرصد الفرق والحركات المنتسبة إلى الإسلام وبيان زيفها والرد على شبهاتها.
- إعادة طباعة ونشر الكتب التي صُنفت في نقدالأفكار الهدَّامةو الفرق والجماعات المنحرفة عن منهج الإسلام ، والتي تحاول تشويه صورته ، وتقويض أركانه ووقف مده وانتشاره ،خدمة للإسلام ، وتحصيناً للمسلمين من الوقوع في براثنها وشراكها.
- التصدي الدائم والمستمر لكافة أشكال الانحراف الديني والفكري بالحكمة والموعظة الحسنة، وفق منهج الإسلام ورؤية الأزهر الشريف القائمة على الوسطية والاعتدال .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١ الاتجاه الباطني في تشكله الجديد ، سلطان العميري ، ٢٠مجلة البيان ، مسارات فكرية ، العدد ٢٩٦، فبراير ٢٠١٢م.

٢ الاتجاه الباطني في تفسير القرآن ، محسن عبدالحميد ، مجلة دعوة الحق ،المملكة المغربية، العدد٢٣٢.

٣ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين:لمحمد بن مُحَمَّد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٤ الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ،تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الطبعة: ١٣٩٤هـ-١٩٧٤ م .

٥ إحياء علوم الدين ، للغزالي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بدون تاريخ .

٦ أدب مصر الفاطمية ، د. مُحَمَّد كامل حسين ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، الطبعة : الأولى ،بدون تاريخ.

٧ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، للشوكاني ،تحقيق :أحمد عزو عناية ، دار الكتاب العربي ،ط أولى ، ١٤١٩هـ -١٩٩٩م .

٨ أساس التأويل للقاضي النعمان بن حيوان ، تحقيق: عارف تامر ،سلسلة المخطوطات العربية ، منشورات دار الثقافة – بيروت، بدون تاريخ.

٩ أساس التقديس للإمام فخر الدين الرازي ، تحقيق : د. أحمد حجازي السقا ، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

١٠ إسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ، الناشر: الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١١ الإسلام والدعوات الهدامة ، لأنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٤ م.

١٢ إشكاليات الطرح الديني لدى الجماعات المتطرفة وأثرها على المفاهيم بالبنائية للدول والأوطان ، د. أحمد إسماعيل أبوشنب ، أبحاث المؤتمر العام الثلاثين للمجلس الأعلى للئون الإسلامية ، مصر، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م.

١٣ إشكاليات منهج الشيعة الاستدلالي ، دراسة نقدية ، د. أحمد إسماعيل أبو شنب ، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م.

١٤ الأصول من الكافي للكليني ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، الناشر: دار الكتب الاسلامية مرتضى آخوندي تهران – بازار سلطاني ، الطبعة الثالثة (١٣٨٨).

١٥ أطلس الفرق والمذاهب في التاريخ الإسلامي ، سامي بن عبدالله بن أحمد المغلوث ، العبيكان للنشر – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

١٦ الاعتصام للإمام الشاطبي ، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي ، الناشر: دار ابن عفان، السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
١٧ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : للإمام مُحَمَّد بن عمر بن الحسين الرازي ، تحقيق : علي سامي النشار ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٠٢هـ.
١٨ الاعتقادات في دين الإمامية للشيخ الصدوق ، تحقيق : عصام عبد السيد ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ.
١٩ الأعلام للزركلي ، الناشر : دار العلم للملايين ، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢م.
٢٠ الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ، وضع حواشيه: عبد الله مُحَمَّد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ–٢٠٠٤م.
٢١ إلجام العوام عن علم الكلام ، للإمام أبي حامد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت.
٢٢ الأمالي للطوسي ، تحقبق: قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة للطباعة والتوزيع ، دار الثقافة ، بدون تاريخ .
٢٣ الإمام الصادق حياته وعصره وآراؤه وفقهه، الإمام . مُحَمَّد أبو زهرة ، بدون طبهة ، بدون تاريخ.
٢٤ أهل البيت في الكتاب والسنة ،مُحَمَّد الريشهري ، تحقيق: مؤسسة دار الحديث الثقافية ، دار الحديث –قم ، الطبعة : الثانية ،١٣٧٥.
٢٥ الإيضاح لأبي فراس شهاب الدين الديلمي ، تحقيق وتقديم : عارف تامر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت – لبنان ، الطبغة : الأولى ، ١٩٦٤م.
٢٦ الباطنية وخطرها على العقيدة ، د. عبد المنعم فتحي عوض ، حولية كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ، العدد ٢٥، ١٤٢٨هـ –١٩٧٨م.
٢٧ الباطنية وموقف الإسلام منها ، د. جميل مُحَمَّد أبو العلا، دار المعارف، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م.
٢٨ بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار ، للمجلسي ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣هـ–١٩٨٣م.
٢٩ البحث العلمي أساليبه النظرية وممارسته العملية، د.رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر، بيروت– لبنان، الطبعة :الأولى،١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.
٣٠ البحر المحيط في التفسير ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت ، ١٤٢٠هـ.
٣١ البهائية وجذورها البابية ، د .عامر النجار ، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية–القاهرة، الطبعة الأولي، ١٩٩٦ م .

٣٢ البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية ، تأليف: عبد الرحمن الوكيل ، ضبط ومراجعة : أحمد حمدي إمام ، شبكة الألوكة ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية ، مصر ، ط ثانية ، ١٤٠٧هـ –١٩٨٦م.

٣٣ البهائية وسائل وغايات ، د .طه الدسوقي حبيشي ، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع .

٣٤ البيان لما يشغل الأذهان ، د. علي جمعة ، دار المعارف القاهرة ، بدون تاريخ .

٣٥ بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، منقول من كتاب قواعد آل مُحَمَّد ، مُحَمَّد بن الحسن الديلمي ، عني بتصحيحه :ر. شتروطمان، بدون طبعة ، بدون تاريخ .

٣٦ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، لشمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري ، دار النشر: دار الكتاب العربي.لبنان– بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٣٧ تاريخ العلويين ، د.مُحَمَّد أمين غالب الطويل ، مطبعة الترقي اللاذقية – سوريا ، ١٣٤٣هـ–١٩٢٤م.

٣٨ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، الإمام. مُحَمَّد أبو زهرة ، ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣٩ تأويل الدعائم ، النعمان بن حيوان ،تحقيق: مُحَمَّد حسن الأعظمي ، دار المعارف ، مصر، بدون تاريخ.

٤٠ التأويل والانحرافات العقدية "تقرير حقائق وتفيد مزاعم " د. عبدالناصر محمود عبدالسلام جمعة ، بحث مستل من حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، جامعة الأزهر ، العدد٢٨، ١٤٣٥هـ–٢٠١٤م.

٤١ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن مُحَمَّد الأسفراييني، تحقيق :كمال يوسف الحوت ، الناشر: عالم الكتب – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٤٢ التحرير والتنوير ،للطاهر بن عاشور ،الناشر:الدار التونسية للنشر ،تونس ، ١٩٨٤ م.

٤٣ التحول السياسي في صدر الإسلام والتأسيس لفرضية الصراع قراءة في الأيديولوجيا الشيعية ، د. مُحَمَّد أمزيان ، مجلة الدراسات الإسلامية ، قسم العلوم الإسلامية ، جامعة قطر ، العدد٦ ، ٢٠٠٦م.

٤٤ دور الإمام الغزالي في مواجهة التأويل الباطني ، د.فتحي مُحَمَّد الزغبي ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الرابع لقسم الفلسفة بكلية الآداب –جامعة القاهرة بالتعاون مع المجلس الأعلى للثقافة ، أبريل ٢٠١٧م .

٤٥ التعريفات ، الشريف الجرجاني ، حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

٤٦ التفسير الحديث ،مُحَمَّد عزت دروزة ،الناشر: دار إحياء الكتب العربية،القاهرة ، ١٣٨٣ هـ.

٤٧ تفسير الصافي للفيض الكاشاني ،صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، منشورات مكتبه الصدر طهران.

٤٨ تفسير العياشي ، لأبي النظر مُحَمَّد بن مسعود بن عياش ،تحقيق وتعليق : الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، تصدى لطبعه ونشره : الحاج السيد محمود الكتابچي وأولاده صاحب المكتبة العلمية الاسلامية طهران –سوق الشيرازي .

٤٩ تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٥٠ تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي ،صححه وعلق عليه وقدم له :السيد طيب الموسوي الجزائري ، منشورات مكتبة الهدى ، مطبعة النجف ١٣٨٧ هـ.

٥١ تفسير الميزان ، السبد مُحَمَّد حسين الطبأطبائي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم ، بدون طبعة ، بدون تاريخ.

٥٢ تفسير روح المعاني للآلوسي ، تحقيق :علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٣ التفسير والمفسرون ، د. مُحَمَّد حسين الذهبى ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة.

٥٤ تلبيس إبليس ، لأبي الفرج بن الجوزي ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ –٢٠٠١م .

٥٥ التناقضات العقدية لدى الشيعة الاثنى عشرية في القرآن الكريم ، إعداد. أنور عبد ربه الغوطي ، إشراف :أ.د . محمود يوسف مُحَمَّد الشوبكي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية بغزة ، ١٤٣٨هـ–٢٠١٧م.

٥٦ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين الملطي العسقلاني ، تحقيق: مُحَمَّد زاهد الكوثري ، الناشر:المكتبة الأزهرية للتراث – مصر.

٥٧ جامع الأسرار ومنبع الأنوار ، شيخ سيد حيدر آملي ، تصحيح وتقديم : هنري كربين و عثمان إسماعيل يحي، طهران – إيران ، ١٣٤٧هـ –١٩٦٩م.

٥٨ جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ، تحقيق: أحمدمُحَمَّد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٥٩ جذور الفتنة في الفرق الإسلامية ، حسن صادق ، مكتبة مدبولي – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م .

٦٠ جوامع الجامع ، للطبرسي ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠هـ.

٦١ الحراب في صدر البهاء والباب ، لمحمد فاصل ، دار التقدم – مصر ، الطبعة الأولى ،١٣٣٥هـ–١٩١٧م.

٦٢ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، د. مُحَمَّد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عمان – الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م .

٦٣ حقيقة البابية والبهائية ، محسن عبد الحميد ، بدون طبعة ، بدون تاريخ.

٦٤ حقيقة البهائية ، د . مصطفى محمود ، دار المعارف، الطبعة الثانية، بدون تاريخ .

٦٥ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني ، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٦٦ حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه ، مُحَمَّد مُحَمَّديان ، بدون طبعة ، بدون تاريخ.

٦٧ خمس رسائل إسماعيلية ، الرسالة المزهية للقاضي النعمان ، تحقيق : عارف تامر ، منشورات دار الإنصاف للتأليف والطباعة والنشر ،سوريا ، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م.

٦٨ دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، لعبدلله الأمين ، دار الحقيقة –بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩١م.

٦٩ الرسالة للشافعي ، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر ،الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ–١٩٤٠م.

٧٠ الروضة البهية فيمابين الأشاعرة والماتريدية ، للشيخ . نور الدين حسن بن عبد المحسن المعروف بأبي عذبة ، تحقيق: مُحَمَّد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

٧١ سنن الترمذي ، تحقيق وتعليق:أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون ،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٧٢ السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٧٣ السنن الكبرى للنسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له :عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/ ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٧٤ شجرة طوبى للشيخ مُحَمَّد مهدي الحائري ، منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف ، الطبعة: الخامسة ، ١٣٨٥هـ.

٧٥ شرح العقائد النسفية للعلامة سعد الدين التفتازاني ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧٦ الشيعة التاريخ الكامل ، د .رجب مُحَمَّد بخيت ، مكتبة الإيمان ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٩م .

٧٧ الشيعة والتشيع إحسان إلهي ظهير، الطبعة:الأولى ١٤٠٤ هـ –١٩٨٤ م.

٧٨ صحيح البخاري ، تحقيق :محمد زهير بن ناصر الناصر،الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧٩ صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٨٠ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، لابن حجر العسقلاني ،تحقيق :عبد الرحمن بن عبد الله التركي –كامل محمد الخراط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٨١ طائفة القاديانية وتأويلاتها الباطنية لآيلت القرآن الكريم ، سامي حسن ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) ، المجلد ٢٠، العدد (٣)، ٢٠٠٦م.

٨٢ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور ، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م .

٨٣ فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، د. غالب بن علي عواجي ، الدار العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ،١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

٨٤ الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات (النشأة . التاريخ .العقيدة. التوزع الجغرافي) ، سعد رستم ، الناشر دار الأوائل للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة،٢٠٠٥م.

٨٥ الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث (اليهودية . المسيحية . الإسلام) دراسة مقارنة ، د.محمد غالب بركات ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١م.

٨٦ فصل المقال لابن رشد ، دراسة وتحقيق: محمد عمارة ، الناشر: دار المعارف ، الطبعة: الثانية ، بدون تاريخ .

٨٧ القاديانية ، د. عامر النجار ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط أولى ، ١٤٢٥هـ –٢٠٠٥م.

٨٨ القاديانية دراسات وتحليل ، إحسان إلهي ظهير ، دار الإمام المجدد للنشر و التوزيع القاهرة ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م .

٨٩ القاديانية ومصيرها في التاريخ ، د. طه الدسوقي حبيشي ، ط مكتبة الإيمان .

٩٠ قانون التأويل للغزالي،تحقيق :محمود بيجو،الطبعة الأولى، طبعة البيروتي ،١٩٩٣م.

٩١ قواعد عقائد آل محمد الباطنية ، محمد بن الحسن الديلمي اليماني، تقديم العلامة : محمد زاهد الكوثري ، اعتنى بنشره : السيد عزت العطار ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٣٦٩هـ–١٩٥٠م.

٩٢ الكامل في التاريخ لابن الأثير ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ –١٩٩٧م.

٩٣ كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني،تحقيق:مُحَمَّد عثمان الخشت، الناشر: مكتبة الساعي _الرياض.

٩٤ الكليني وتأويلاته الباطنية للآيات الفرآنية في كتابه أصول الكافي الكافي، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٧م.

٩٥ لسان العرب ،لابن منظور الأنصاري ، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

٩٦ اللغة العربية ومكانتها العلمية في فهم القرآن وتفسيره ،د. طاهر محمود مُحَمَّد يعقوب ، مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب ، لاهور – باكستان ، العدد٢٣، ٢٠١٦م.

٩٧ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، لشمس الدين السفاريني الحنبلي ، الناشر:مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م .

٩٨ مجمع البيان للطبرسي ، تحقيق :لجنة من المحققين ، تقديم : السيد محسن الأمين العاملي ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت ،لبنان ،الطبعة :الأولى ،١٤١٥هـ–١٩٩٥م.

٩٩ المحصول ، للرازي ، تحقيق : د. طه جابر فياض علواني ، مؤسسة الرسالة ،ط ثالثة ، ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.

١٠٠ مختار الصحاح ، للرازي ، تحقيق: يوسف الشيخ مُحَمَّد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٠١ مختصر بصائر الدرجات ، الحسن بن سليمان الحلي ، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف ، الطبعة : الأولى ، ١٣٧٠هـ– ١٩٥٠م.

١٠٢ مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف مُحَمَّد عبد الجواد، الناشر: دار البيان العربى – القاهرة.

١٠٣ مذاهب الإسلاميين ، د عبد الرحمن بدوي ، ط دار العلم للملايين ، بيروت – نيسان ، أبريل ١٩٩٧م.

١٠٤ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات ، لا بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠٥ مسائل مجموعة من الحقائق العالية ، عني بتصحيحه : ر.شتر وطمان ،خزانة التراث ،التكوين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة : الأولى ،٢٠٠٦م.

١٠٦ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م.

١٠٧ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.

١٠٨ البحر الزخار للبزار ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
١٠٩ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن مُحَمّد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت .
١١٠ معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ،الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ.
١١١ معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي،الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
١١٢ معتقدات الشيعة الباطنية وأثرها في هدم الشريعة الإسلامية ، سماعين بلجيلالي ، حوليات جامعة الجزائر ١، المجلد ٣٥، العدد١، ٢٠٢٠م.
١١٣ معجم اللغة العربية المعاصرة ، د .أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م .
١١٤ المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٢م.
١١٥ مفاتيح الغيب ، للإمام فخر الدين الرازي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.
١١٦ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى،تحقيق : صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية دمشق –بيروت، الطبعة:الأولى – ١٤١٢ هـ..
١١٧ مقال الاتجاه الباطني في تفسير القرآن ، محسن عبد الحميد ، دعوة الحق ،وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية بالمملكة المغربية ،العدد٢٣٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م.
١١٨ مقال بجريدة اليوم السابع ، بعنوان : متى ظهر مصطلح الباطنية – سبب تسميتهم وموقف أهل السنة من الطائفة ، بقلم . مُحَمّد عبد الرحمن ، ١٤/٥/ ٢٠٢٠.
١١٩ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن الأشعري ، تحقيق : نعيم زرزور ، الناشر: المكتبة العصرية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
١٢٠ مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية ، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان ، ١٤٩٠هـ– ١٩٨٠م.
١٢١ الملل والنحل ، لأبي الفتح مُحَمّد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني ، الناشر: مؤسسة الحلبي. ، بدون تاريخ .
١٢٢ من العقيدة إلى الثورة،د. حسن حنفي، المجلد الرابع ،مكتبة مدبولي، بدون تاريخ .
١٢٣ مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة، د.فرج الله عبد الباري ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

١٢٤ مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ثالثة، ١٩٧٧م .
١٢٥ مناهج البحث والتفكير العلمي، د.عبد الله الشرقاوي، دار الثقافة العربية– القاهرة ، ١٩٩٧م.
١٢٦ مناهج الدعوة " المفاهيم والإشكاليات والخصائص والمقاصد والأنواع " تأصيل وتحليل ، د.أحمد إسماعيل أبو شنب ، بدون طبعة ، ١٤٣٧هـ –٢٠١٦م.
١٢٧ منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ، العلامة الحلي ، تحقيق : أ. عبد الرحيم مبارك ، بدون طبعة ، بدون تاريخ .
١٢٨ منهج الشيعة الاستدلالي دراسة نقدية ، د . أحمد إسماعيل أبو شنب ، بدون طبعة ، ١٤٤١هـ –٢٠١٩م.
١٢٩ المواقف للإيجي ، الناشر : دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.
١٣٠ مواهب الرحمن ، مرزا غلام أحمد القادياني ،الشركة الإسلامية المحدودة ، الطبعة الحديثة، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
١٣١ موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ، إعداد مجموعة من الباحثين ، إشراف الشيخ . علوي بن عبدالقادر السقاف ، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت ، ربيع الأول ، ١٤٣٣هـ.
١٣٢ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مجموعة من المؤلفين ، إشراف وتخطيط ومراجعة ، د. مانع بن حماد الجهني ، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ،١٤٢٠هـ .
١٣٣ موقف الزيدية وأهل السنة من العقيدة الإسماعيلية ، د. كمال الدين نور الدين مرجوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان.
١٣٤ نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية تحليل فلسفي للعقيدة ، د. أحمد محمود صبحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١٣٥ نهج البلاغة من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للشريف الرضي ،شرح الأستاذ الإمام الشيخ مُحَمَّد عبدة مفتي الديار المصرية سابقاً، الناشر:دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت –لبنان،بدون تاريخ.

فهرس الموضوعات